وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المسار: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

الموسومة بـ:

حركة التأليف عند النُخبة الجزائرية المُفرنسة "شريف بن حبيلس" أنموذجًا (1891-1959م)

من إعداد الطالبتين:

كراكرية سهيلة

عدة خلود

الأستاذ المشرف:

أ.د.ة. حباش فاطمة

لجنة المناقشة		
أ.د.ة. لزغم فوزية	جامعة تيارت	رئيسًا
أ.د.ة. حباش فاطمة	جامعة تيارت	مشرفًا ومقررًا
د.ة. حمري ليلى	جامعة تيارت	مناقشًا

السنة الجامعية: 1445-1446هـ/2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتيسّر الأمور وتتحقّق الغايات.

نحمد الله حمدا يليق بجلاله، إذ وفّقنا وسدّد خطانا لإتمام هذا العمل الأكاديمي، بعد جهدٍ متواصل وبحثٍ مستمر، ونسأله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لنا ولمن يأتي بعدنا من طلبة العلم.

وإنّ من تمام نعم الله علينا أن سخّر لنا أستاذة فاضلة، ومشرفة متميزة، الأستاذة الدكتورة حباش فاطمة، التي كانت خير سند، إذ لم تبخل علينا بعلمها وتوجيهها وصبرها، فجزاها الله عنا خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتها.

كما نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضّلوا بقبول مناقشة هذه المذكرة، ونثمّن كلّ ملاحظاتهم ومساهماتهم التي من شأنها أن تعمّق الفهم وتثري الموضوع.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من يطّلع عليه أو يستفيد منه، وأن يكون خطوة صادقة تفتح لنا أبوابًا جديدة في مسارنا الأكاديمي، وتُسهم في تطوير الفهم حول هذا الموضوع.

نرجو أن يُثمر هذا الجهد المتواضع أثرًا طيبًا، وأن يكون بدايةً لما هو أعمق وأوسع، يقربنا أكثر من أهدافنا، ويترك بصمة محترمة ضمن الجهود العلمية في هذا المجال.

إهداء :

*** إلى من كلل العرق جبينه ومن علمني أنَّ النجاح لا يأتي إلَّا بالصبر والإصرار، إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره أبدًا، من بذل الغالي والنفيس، واستمديت منه قوتي واعتزازي بذاتي، والدي العزيز.**

*** إلى من جعل الجنة تحت أقدامها، وسهلت لي الشدائد بدعائها، إلى الإنسانة العظيمة التي لطالما تمنت أن تقر عينها لرؤيتي في يوم كهذا، أمي العزيزة.**

*** إلى أخي خالد، السند في كل لحظة، والرفيق في الشدائد، من كان حضوره طمأنينة، وكلماته دعمًا، ومواقفه عزوة لا تُنسى، فشكرًا لوجوده الثابت بجانبي.**

*** إلى إخوتي الغاليين، من كانوا دومًا عضدي الذي أستند عليه.**

*** إلى جدّتيّ العزيزتين، بدعائكما سُهّل دربي، حفظكما الله وبارك في عمركما.**

*** إلى خالتي فاطمة وبناتها، من فتحن لي أبواب قلوبهن وبيوتهن، وكان لوجودي بينهن الأثر الكبير في تسهيل طريقي الدراسي، فجزاهن الله عني خير الجزاء.**

*** إلى خالتي نادية وأبنائها، الذين كانوا دومًا دعمًا صادقًا، وحضورًا محفّزًا، لا يُقدّر بثمن.**

*** إلى خلود، التي لم تكن فقط زميلة، بل أختًا شاركتني كل تفاصيل هذا العمل، من اللحظات الأولى حتى آخر صفحة، بصبرها، وتفانيها، ودعمها المعنوي والفكري الذي لن أنساه.**

*** وإلى صديقتَيّ نسرين وفتيحة، شريكتَيّ في الجد والمساندة، والدرب المشترك.**

أهديكم هذا الإنجاز وثمرة نجاحي الذي طالما تمنيته، ها أنا اليوم أكملت وأتممت أول ثمراته بفضله سبحانه وتعالى. فالحمد لله على ما وهبني وأن يجعلني مباركًا ويعينني أينما كنت، فمن قال أنا لها نالها وإن أبت رغمًا عنها.

كراكرية سهيلة

إهداء :

*** الحمد لله على توفيقه، فبه تستقيم الأمور وتُكلل الجهود بالنجاح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمَّا بعد:**

أحمد الله تعالى أن منّ عليّ بإتمام هذا العمل، فكان ثمرة جهد وعونٍ منه سبحانه.

أهدي ثمرة جهدي إلى أعزّ الناس على قلبي وروحي:

*** إلى "أمي"، التي غرست فيّ حب العلم والتاريخ، وكانت ولا تزال سندي في الحياة، أقدم لها أعمق الشكر والعرفان.**

*** إلى "والدي"، الذي أحمل اسمه بكل فخر، صديقي وداعمي الأول، الذي منحني الأمل والتفاؤل.**

*** إلى "إخوتي وأختي الصغيرة"، رفقاء دربي الذين كانوا خير سندٍ وعون.**

*** إلى "زوجة أخي"، التي كانت لي أختاً وصديقةً، تشاركني فرحي وتقف بجواري في كل خطوة.**

*** إلى صغيراتي الحبيبات "خديجة وفاطمة"، نور عيني وبهجة قلبي.**

***إلى أفراد أسرتي الكريمة الذين وقفوا إلى جانبي.**

*** وإلى رفيقات الدرب: "أمينة، سهيلة، نسرين، فتيحة"، اللاتي كنَّ نورًا في طريقي، أسأل الله أن يبارك فيهنَّ جميعًا ويكافئهنَّ خيرًا على ما قدموه لي.**

*** هذا العمل هو قطرة من بحر امتناني لكم، فلكم مني كل الحب والتقدير.**

عدة خلود

قائمة المختصرات باللغة العربية:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
د.ط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
ط	طبعة
ل.م.د	ليسانس – ماستر – دكتوراه
م	السنة الميلادية
مج	مجلد
مر	مراجعة
هـ	السنة الهجرية

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية:

GGA	Gouvernement Génerale de L'Algérie
ANEP	Agence Nationale D'Édition et de Publicité
CRASC	Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle
CNRA	Conseil National de la Révolution Algérienne
DGRST	Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement Technologique
Ibid	Ibidem
L'I.N.E.D	Institut National D'Études Démographiques
L.M.D	Licence - Master - Doctorat
L.-C	Louis-Charles
M	Monsieur
No	Numéro
Op. Cit	Opera Citato
P	Page
PP	Pages
S.D	Sans Date
S	Série
T	Tome
V	Vladimir

قائمة المختصرات باللغة الإنجليزية:

EUI	European University Institute
HEC	History and Civilization
No	Number
P	Page
U.S.S.R	Union of Soviet Socialist Republics
USA	United States of America
Vol	Volume

مقدمة

مقدمة:

عرفت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية العديد من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية، لاسيما مع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد أدّت هذه التغييرات إلى بروز نُخبة جزائرية مُفرنسة تلقت تعليمها داخل النظام الفرنسي، وتأثرت بدرجة كبيرة بالثقافة الغربية، ممَّا جعلها تحتل مكانة خاصة داخل المجتمع الجزائري وتطرح تساؤلات متعددة حول مكانتها ودورها.

مع تطور هذه النُخبة، بدأت تظهر محاولات للتعبير عن واقعها ومواقفها من خلال الكتابة والتأليف، خاصةً باللغة الفرنسية، سواء عبر مقالات أو مؤلفات موجهة للسلطة الاستعمارية، ورغم تنوع هذه الكتابات في الشكل والمضمون، إلا أنها تسمح لنا بفهم طريقة تفكير هذه الفئة ونظرتها للظروف التي كانت تعيشها في تلك الفترة.

وفي الوقت الذي كانت فيه الجزائر تعيش تحت ضغط الاستعمار، اختار بعض أبناء النُخبة أن يواجهوا الواقع بالكلمة بدل السلاح، فكانت كتاباتهم وسيلة لفهم الواقع، والتعبير عن هويتهم، والمساهمة في صناعة وعي جديد، ومن بين هؤلاء يبرز شريف بن حبيلس، الذي حاول من خلال أحد مؤلفاته أن يعكس تصورات النُخبة تجاه الاستعمار والمجتمع الجزائري.

في هذا السياق تندرج دراستنا ضمن إطار زمني يمتد من سنة 1891 إلى 1959م، وهي الفترة التي تغطي حياة شريف بن حبيلس، الذي يعتبر أحد الشخصيات البارزة في صفوف النُخبة الجزائرية المفرنسة. أما الإطار المكاني، فينحصر في الجزائر، باعتبارها المجال الذي تكوّنت فيه هذه النُخبة وتفاعلت مع المشروع الاستعماري.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تُبرز جانبًا مهملًا من تاريخ الجزائر الفكري، يتمثل في مساهمات النُخبة الجزائرية المفرنسة من خلال مؤلفاتها، لاسيما تلك التي عبّرت عن وعيها بالواقع الاستعماري، ويندرج شريف بن حبيلس ضمن هذه الفئة، حيث يُمثّل نموذجًا

يساعد على فهم طبيعة هذه النُخبة، وظروف تشكل وعيها، وطريقة تفاعلها مع المحيط الاستعماري الذي نشأت فيه.

بناءً على ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على حركة التأليف لدى النُخبة الجزائرية المُفرنسة، من خلال دراسة نموذج شريف بن حبيلس، وتحليل كيف عبّر عن موقعه بين ثقافتين مختلفتين، وكيف حاول من خلال الكتابة أن يشارك في النقاش حول واقع الجزائر ومستقبلها في ظل الاستعمار الفرنسي.

وقد جاء اختيارنا لموضوع "حركة التأليف عند النُخبة الجزائرية المُفرنسة: شريف بن حبيلس أنموذجًا (1891–1959)" نتيجة اجتماع عدة دوافع ذاتية وموضوعية.

فعلى المستوى الذاتي، دفعنا الاهتمام بتاريخ النُخبة الجزائرية المُفرنسة، التي نشأت وتكوّنت في ظل الاستعمار الفرنسي، إلى محاولة فهم كيف عبّرت هذه الفئة عن آرائها ومواقفها من خلال ما كتبته، خاصة أن هذا الجانب لا يزال بحاجة إلى دراسات معمّقة. وقد أثار اهتمامنا المسار الفكري والسياسي لشريف بن حبيلس، باعتباره أحد رموز هذه النُخبة، وكونه مؤلف كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، الذي يُعدّ من النصوص القليلة التي كتبها جزائري مفرنس في تلك الفترة، ما جعله مادة مناسبة للتحليل ضمن هذا الإطار.

أما على المستوى الموضوعي، فإن هذه دراسة، تفتح مجالًا لفهم أعمق لدور النُخبة الجزائرية المفرنسة في الحياة الثقافية والسياسية خلال الحقبة الاستعمارية، من خلال تحليل نموذج شريف بن حبيلس وما تضمنه كتابه، وكذلك إلى إبراز رؤيته للمرحلة التي عاش فيها، وطريقة تعبيره عن موقعه داخل مجتمع متأرجح بين ثقافتين، وموقفه من القضايا المرتبطة بالهوية والانتماء في ظل الهيمنة الفرنسية.

وانطلاقًا من هذا السياق، نطرح الإشكالية التالية:

كيف ساهمت التحولات التي عرفتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في تشكيل النُخبة الجزائرية المُفرنسة؟ وكيف يمكن تحليل دور شريف بن حبيلس كنموذج لهذه الفئة، من خلال أفكاره ومؤلفه؟

ومن هذه الإشكالية تتفرع مجموعة من التساؤلات والاستفهامات الفرعية، أهمها:

1- ما هي الأوضاع العامة في الجزائر بين 1870 و1920م، وكيف ساهمت في بروز النُخبة الجزائرية المُفرنسة؟

2- ما المقصود بالنُخبة الجزائرية المُفرنسة؟ وعلى أي أسس تشكّلت؟

3- كيف كانت علاقة هذه النُخبة بالاستعمار؟ وما موقفها من قضايا المجتمع؟

4- كيف تعاملت الإدارة الفرنسية مع النُخبة المُفرنسة؟ وما حدود احتوائها لها؟

5- ما الذي يميز مسار شريف بن حبيلس؟ وكيف أثّر في محيطه؟

6- كيف تطورت أفكار ومواقف شريف بن حبيلس مع مرور الوقت؟

7- ما هي الخصائص الفكرية والسياسية التي يتضمنها كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"؟

8- كيف يعكس هذا الكتاب نظرة النُخبة المُفرنسة للهوية الوطنية وللمشروع الفرنسي الاستعماري في الجزائر؟

ولمعالجة هذا الموضوع، اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي، خاصةً في الفصل التمهيدي، لتتبع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1870 إلى 1920م، ولتقديم خلفية تساعد على فهم الظروف التي نشأت فيها النُخبة الجزائرية المُفرنسة.

كما اعتمدنا في الفصل الأول على مزيج من المنهجين الوصفي والتحليلي، من خلال عرض ظروف ظهور هذه النُخبة ومواقفها المختلفة، ومحاولة فهم التناقضات التي عاشتها داخل المجتمع الاستعماري.

وفي الفصل الثاني، وظّفنا أيضًا المنهجين الوصفي والتحليلي، حيث تتبعنا أبرز المحطات في حياة شريف بن حبيلس، ثم قمنا بتحليل شخصيته ومواقفه المتنوعة، خاصةً في ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي أثرت فيه.

أما الفصل الثالث، فقد اعتمدنا فيه على المنهج التحليلي، من خلال قراءة كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، وتحليل رؤية الكاتب للأوضاع العامة في الجزائر خلال فترة الاستعمار، مع التوقف عند قيمة هذا المؤلف كمصدر تاريخي مهم، وكذلك عند بعض الجوانب التي تُثير تساؤلات حول مدى تمثيله الحقيقي لمعاناة الجزائريين تحت النظام الاستعماري. كما تم توظيف المنهج السردي في تتبّع مضامين النص وتسلسل الأفكار التي عرضها الكاتب، قصد فهم السياق الذي كُتبت فيه هذه الرؤية وتحليل الأسلوب الذي اعتمده في التعبير عن مواقفه وتصوراته.

أمَّا فيما يخص الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع هذه المذكرة، فيمكن تقسيمها إلى قسمين: أطروحات أكاديمية، ودراسات منشورة في مجلات علمية.

1- الأطروحات الأكاديمية:

تناولت بعض الرسائل الجامعية موضوع النُخبة الجزائرية المُفرنسة من جوانب متعددة، من بينها أطروحة رمضان عثماني الموسومة بـ "الأُسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنُخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1919-1954م)"، التي ركز فيها الباحث على الظروف التي ساهمت في نشأة هذه النُخبة، كما نجد أطروحة سناء نويجي بعنوان "دور المُثقفين في الثورة التحريرية (1954-1962م)"، التي اهتمت بمسار بعض الشخصيات المنتمية إلى هذه الفئة، أمَّا مذكرة ماستر للباحث البشير منصور بعنوان

"الشريف بن حبليس أنموذجًا (1891–1959م)"، فقد استفدنا منها فقط في التعرف على النُخبة المُفرنسة بشكل عام، ولم نعتمد عليها في دراسة شخصية شريف بن حبيلس.

2- الدراسات والمقالات المنشورة في المجلات العلمية:

تناولت مجموعة من المقالات العلمية موضوع النُخبة الجزائرية المُفرنسة من جهة، وشخصية شريف بن حبيلس من جهة أخرى.

من بين الدراسات التي تناولت شخصية شريف بن حبيلس، نجد مقالًا للباحثة نفيسة دويدة موسومًا بعنوان "مقالات متنوعة الشريف بن حبيلس: آراؤه واهتمامته الفكرية"، حيث تطرقت إلى نشأته وبعض كتاباته، وساعدنا هذا المقال في فهم جزء من رؤيته الفكرية، كما تناول قاصري محمد السعيد فكر شريف بن حبيلس في دراسة بعنوان "النُخبة الجزائرية الفرانكفونية بين التطرف والاعتدال شريف بن حبيلس أنموذجًا (1891–1959م)"، قدم من خلالها تحليلًا لمساره الفكري ومواقفه السياسية والاجتماعية. وقد ساعدنا كلا العملين في فهم القيمة السياسية والفكرية لكتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، من خلال ما تضمنه من مواقف تجاه السياسات الاستعمارية، والتعبير عن إشكالية الهوية بين الانتماء الجزائري والتأثر بالثقافة الفرنسية.

أمَّا بخصوص الدراسات التي اهتمت بمفهوم النُخبة من الناحية اللغوية والمفاهيمية، فقد ساعدتنا في ضبط المصطلح بشكل دقيق، ومن بين هذه الأعمال، دراسة أمينة علاق بعنوان "نُخبة أم نُخب: قراءة في المفهوم، الأدوار والإشكاليات"، وكذلك مقال وليدة حدادي بعنوان "النُخبة المُثقفة وإشكالية المفهوم"، ودراسة بديس بوشامة "النُخبة والديمقراطية.. قراءة في المفاهيم والأبعاد". أمَّا دراسة لهلالي سلوى بعنوان "ظهور النُخبة الجزائرية ومرجعياتها" فقد ساعدتنا في التعرف على الانتماء الاجتماعي للنُخبة الجزائرية المُفرنسة، كما ساعدتنا دراسة فتيحة صافر المعنونة بـ "مواقف النُخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية" على فهم مرجعيتها السياسية، أمَّا دراسة سعودي أحمد "النُخبة الاندماجية في الجزائر ومسألة

التجنيد الإجباري (1912–1918م)، وهم الفرنسة، وفشل التحديث" فقد أبرزت موقف النُخبة من قضية التجنيد الإجباري، وتناولت دراسة سحولي بشير "مسألة التجنس من منظور النُخبة الجزائرية المُفرنسة (1900–1939م)"، موقف هذه النُخبة من قانون التجنيس.

أمَّا على الصعيد الأجنبي، نجد دراسة مهمة لجون رودي (John Ruedy) بعنوان: "Chérif Benhabylès and Ferhat Abbas: Case Studies in the Contradictions of the Mission civilisatrice" التي تعتبر من الدراسات النادرة التي ساعدتنا في التعرف على أصل عائلة شريف بن حبيلس وظروف نشأته.

وبخصوص المادة العلمية المعتمدة في هذه الدراسة، فقد شملت على مصادر أولية وثانوية، تمثلت في كتب ومجلات وأطروحات جامعية، باللغتين العربية والفرنسية، التي ساعدتنا في بناء تصور شامل حول الموضوع المراد دراسته.

1- المصادر:

- **شريف بن حبيلس، "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي":** يُعتبر هذا الكتاب المصدر الأساسي في هذه الدراسة، وقد تم تحليله بطريقتين: الأولى من خلال قراءة ظاهرية ركزنا فيها على الشكل العام للكتاب، مثل تنظيم الفصول والعناوين ونوعية اللغة المستخدمة، لفهم طريقة عرض المحتوى. أمَّا الطريقة الثانية فكانت قراءة باطنية، حاولنا من خلالها التعمق في المواضيع التي تناولها المؤلف، لاسيما فيما يتعلق بالأسرة والتعليم والواقع الاجتماعي، وذلك بهدف التعرف على أفكاره ومواقفه، التي سيتم تناولها لاحقًا في هذه الدراسة.

- (L'Impartial, Organe Républicain des Intérêts de Djidjeli et de la Région): أمدنا هذا المصدر بمعلومات مهمة عن عائلة شريف بن حبيلس، من خلال تسليط الضوء على الظروف الاجتماعية والواقع السياسي التي كان يحيط بها في تلك الفترة.

- (Journal Officiel de la République Française): قدم معطيات دقيقة حول مولد شريف بن حبيلس ونشأته، وبعض صفاته الشخصية، بالإضافة إلى تاريخ وفاته.

- (Le Mobacher, Journal Officiel Paraissant Deux Fois Par Semaine): ساهم في توثيق معلومات أساسية تتعلق بأصل عائلته، ونشأته، ونشاطه القضائي والإداري.

– **(La Voix Indigène, Journal D'Union Franco-Musulmane):** أتاح لنا الاطلاع على مواقفه الفكرية والإصلاحية، من خلال تغطية نشاطاته ومداخلاته المختلفة.

- (La Bréche, Chérif Benhabylès Chevalier de La Légion D'Honneur): وثّق بعض المحطات الأساسية في المسار المهني لشريف بن حبيلس، وأورد تفاصيل تتعلق بوفاته.

– **أحمد توفيق المدني، "هذه هي الجزائر":** ساعدنا هذا الكتاب على فهم تركيبة المجالس العامة، ووضعية المساجد ضمن النظام المدني في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.

2- المراجع:

– **الطاهر عمري، "النُخبة الجزائرية وقضايا عصرها":** مكننا من تحديد مفهوم النُخبة، والتعرف على مرجعيتها الاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى مواقفها من قضايا التجنيد الإجباري، والتجنيس.

– **خالد بوهند، "النُخب الجزائرية دراسات تاريخية واجتماعية":** أفادنا في توضيح البعد الاصطلاحي لمفهوم النُخبة، وانقسامها بين التيارات الاندماجية والانفصالية، إلى جانب مرجعيتها الاجتماعية.

– **غي برفيليي، "النُخبة الجزائرية الفرانكفونية":** ساعدنا في فهم انتماء النُخبة الجزائرية المُفرنسة، ومرجعيتها الفكرية والثقافية، وموقف الإدارة الاستعمارية منها.

– **عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر:** مكّننا من التعرف على دور التعليم في تشكّل النُخبة الجزائرية المُفرنسة، وموقعها ضمن المنظومة الاستعمارية.

– **أبو القاسم سعد الله، "الحركة الوطنية الجزائرية":** ساهم في تتبع مطالب النُخبة، ومواقفها من التجنيد الإجباري.

– **شارل روبير أجرون، "الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 1"**: أفادنا في فهم نشأة النظام المدني في الجزائر، وعلاقته بالسياسات الفرنسية.

– **عبد الحميد زوزو، "الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية"**: ساعدنا في التعرف على أبرز شخصيات النُخبة الجزائرية المُفرنسة، ودورها في الحياة الفكرية والسياسية في ظل الاستعمار الفرنسي.

– **يحي بوعزيز، "سياسة التسلط الاستعماري"**: مكننا من تحليل المراسيم المتعلقة بتمكين المستوطنين، وقانون الأهالي كأداة من أدوات الهيمنة الاستعمارية.

كما استفدنا من بعض الدراسات الأكاديمية التي أمدتنا بمعطيات دقيقة وتحليلات وافية، إذ ساعدنا عمل صليحة علامة حول "الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي" على فهم الجوانب الاجتماعية والصحية للسكان، وقدمت لنا أطروحة قندوز عبد القادر حول "الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي" معلومات مهمة حول الأمراض المنتشرة آنذاك، لاسيما مرض التيفوس، أمَّا أطروحة عز الدين معزة حول "فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، خلال مرحلة الاستقلال" فقد ساعدتنا في فهم موقف النُخبة من بعض القضايا السياسية، خصوصًا ما تعلق منها بالتجنيس.

وبهدف الإحاطة بجوانب الموضوع قمنا بإعداد خطة بحث شاملة، انطلقت من مقدمة تناولنا فيها التعريف بالموضوع وأهميته، ثمَّ قسمنا البحث إلى أربعة فصول رئيسية:

جاء الفصل التمهيدي بعنوان "أوضاع الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي ما بين (1870–1920م)"، الذي يهدف إلى تقديم خلفية تاريخية وسياقية لفهم المرحلة التي نشأت فيها النُخبة الجزائرية المُفرنسة، وقد تمَّ تقسيمه إلى ثلاثة مباحث: بحيث يُعالج المبحث الأول "الأوضاع السياسية والإدارية"، بينما يتناول المبحث الثاني "الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية"، أمَّا المبحث الثالث فيركز على "الأوضاع الدينية والثقافية" خلال تلك الفترة.

أمَّا الفصل الأول فقد خُصص لدراسة النُخبة الجزائرية المُفرنسة، ويهدف إلى تحليل مفهوم النُخبة وتكوينها في السياق الاستعماري وقد قُسم إلى أربعة مباحث: يتناول المبحث الأول "تعريف النُخبة الجزائرية المفرنسة وتوجهاتها"، ويعرض المبحث الثاني الأسس التي قامت عليها، في حين يستعرض المبحث الثالث مواقف النُخبة من القضايا الوطنية، ويُخصص المبحث الرابع لدراسة موقف فرنسا من هذه النُخبة.

ويتناول الفصل الثاني "سيرة وأثر شريف بن حبيلس بين عامي 1891 و1959م"، ويهدف إلى تتبع المسار الشخصي والفكري لهذه الشخصية كنموذج للنُخبة المُفرنسة، وقد تمَّ تقسيمه إلى خمسة مباحث: خُصص المبحث الأول لدراسة أصل وتاريخ عائلته، وتناول المبحث الثاني مولده ونشأته، أمَّا المبحث الثالث فقد ركز على نشاطه العلمي والمهني، في حين تطرق المبحث الرابع إلى "تطور مواقفه الفكرية والسياسية"، واختُتم الفصل بالمبحث الخامس الذي تناول "آثاره ووفاته".

أمَّا الفصل الثالث، فقد خُصص لدراسة كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، ويهدف إلى تحليل الخطاب الفكري والسياسي الذدي تضمنه هذا المؤلف، وقد قُسم إلى ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول "الدراسة الظاهرية" للكتاب، بينما ركَّز المبحث الثاني على "الدراسة الباطنية"، في حين خُصص المبحث الثالث لبيان "القيمة السياسية للكتاب".

واختُتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال التحليل التاريخي والفكري لموضوع النُخبة الجزائرية المُفرنسة وشخصية شريف بن حبيلس، إلى جانب قائمة الملاحق التي دعَّمت الجوانب الوثائقية للبحث وساهمت في تعزيز مصداقية الدراسة.

أمَّا بخصوص الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجاز هذه المذكرة فقد تمثلت فيما يلي:

– **ندرة المعلومات حول شخصية "شريف بن حبيلس"**: واجهنا صعوبة في العثور على مصادر مباشرة أو دراسات أكاديمية تناولت هذه الشخصية بشكل مفصل ما اضطرنا للاعتماد على إشارات متفرقة، ووثائق متاحة عبر مكتبة (Gallica) الإلكترونية.

– **صعوبة في توثيق سيرة شريف بن حبيلس:** واجهتنا بعض الصعوبات في تتّبع المعلومات الشخصية المرتبطة بولادة ووفاة شريف بن حبيلس، بسبب وجود روايات مختلفة وتواريخ متضاربة في عدد من المصادر، هذا الأمر تطّلب منَّا وقتا وجهدًا كبيرًا لمقارنة هذه الروايات والتعامل معها بحذر، خاصةً وأنَّ الشخصية تنتمي إلى فترة تاريخية معّقدة، والمصادر التي تناولتها قليلة ومحدودة.

– **صعوبة تحديد مفهوم "النُخبة المُفرنسة"**: واجهنا اختلافًا في تعريف هذا المفهوم بين الدراسات، ممَّا استوجب قراءة متعمقة لفهم السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأت فيه هذه الفئة، ومحاولة ضبط المصطلح بشكل دقيق يتماشى مع طبيعة الدراسة.

– **صعوبة اختيار المصادر المناسبة:** رغم توفر عدد معتبر من المصادر حول الفترة الممتدة بين 1870 و1920م، إلَّا أنَّ انتقاء المواد الأكثر صلة بالموضوع تطلب جهدًا كبيرًا لضمان الالتزام بسياق المذكرة وتفادي التوسع الزائد.

– **تجاوز الصعوبات:** رغم التحديات التي واجهتنا أثناء إعداد هذه المذكرة، سواء من حيث ندرة المعلومات حول شخصية شريف بن حبيلس أو التفاوت في المفاهيم والمصادر، فقد حاولنا تجاوزها من خلال البحث المستمر والرجوع إلى وثائق متنوعة، بما في ذلك الجرائد التاريخية والمقالات الأكاديمية والمكتبات الرقمية، وعلى رأسها مكتبة (Gallica).

كما حاولنا التعامل مع المعلومات المتوفرة بطريقة متأنّية، فلم نكتفِ بقراءتها كما هي، بل سعينا إلى ربطها بالسياق التاريخي والسياسي الذي كُتبت فيه، بهدف تقديم دراسة متوازنة.

الفصل التمهيدي: أوضاع الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي ما بين (1870-1920م)

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الثالث: الأوضاع الدينية والثقافية

تمهيد:

شهدت الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1870 إلى 1920م تحوّلات عميقة شملت مختلف المجالات، نتيجة السياسات الاستعمارية الفرنسية التي سعت إلى فرض واقع جديد يخدم مصالحها، فقد عرف النظام السياسي والإداري انتقالًا من الحكم العسكري إلى الإدارة المدنية، تزامن مع تدهور اجتماعي واقتصادي انعكس في انتشار المجاعات، وتصاعد الضرائب، وتهميش السكان الأصليين، إلى جانب إضعاف التعليم العربي. كما عملت السلطات الاستعمارية على طمس الهوية الثقافية والدينية، من خلال محاصرة المساجد، والترويج للثقافة الفرنسية والتبشير المسيحي.

ورغم هذه الضغوط المتعددة، لم يستسلم المجتمع الجزائري، بل بدأت تظهر ملامح وعي جديدة، من خلال مواقف رافضة للتجنيس، واحتجاجات شعبية، إلى جانب مقاومة فكرية وثقافية أخذت تتشكل بهدوء في عمق هذا الواقع المعقد.

فكيف انعكست هذه التحوّلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على واقع الجزائريين؟ وإلى أي مدى ساهمت في تشكيل وعي جديد داخل المجتمع الاستعماري؟

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية:

خلال الفترة مابين 1870 و1920م، شهدت الجزائر تغييرات سياسية وإدارية كبيرة نتيجةً للسياسات الاستعمارية الفرنسية، التي شملت التحول من النظام العسكري إلى النظام المدني، مع إصدار مجموعة من القوانين والمراسيم التي كانت تهدف إلى تعزيز الهيمنة الفرنسية على البلاد، كما شملت هذه التغيرات إصلاحات في عدة مجالات، خاصةً في القضاء والاقتصاد، سوف نتطرق إليهما في هذا المبحث.

1- إعلان الجمهورية الفرنسية الثالثة وتأثيرها على الجزائر:

شهدت الجزائر تغيّرات كبيرة في ظل نظام الإدارة الاستعمارية الفرنسية، نتيجة للتطورات السياسية التي حدثت في فرنسا، فقد أدى سقوط الإمبراطورية الثانية بعد انهزام فرنسا[1] في معركتي "سيدان"[2] (Sedan) و"ميتز" (Metz) إلى إعلان الجمهورية الثالثة بتاريخ 4 سبتمبر 1870م[3]، وقد استقبل الأوروبيون في الجزائر هذا الحدث بحماس كبير، سرعان ما تحول إلى فوضى واضطرابات موجّهة ضد السلطة المحلية والسكان الجزائريين.

[1] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977م، ص: 285.

[2] سيدان: هي معركة وقعت في 2 سبتمبر 1870م خلال الحرب الفرنسية البروسية، انتهت بهزيمة الجيش الفرنسي واستسلام نابليون الثالث مع نحو مئة ألف من جنوده. ينظر: عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د.ط، دار النهضة العربية، لبنان، 1435هـ-2014م، ص: 288.

[3] يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، د.ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص: 175.

رأى المستوطنون في النظام الجمهوري الجديد انتصارًا لهم، لأنّه من جهة أوقف مشروع نابليون الثالث[1] المعروف بـ - المملكة العربية -[2]، ومن جهة أخرى أنهى سيطرة الإدارة العسكرية التي كانت تُعدّ العقبة الرئيسية أمام مصالحهم وتوسّعهم[3]، وفي 5 سبتمبر 1870م، أنشؤوا ما سُمّي بـ "لجنة الإنقاذ الوطني"، التي طالبت بإلغاء النظام العسكري نهائيًا وتعويضه بإدارة مدنية تمنحهم سلطات أوسع.[4]

2- قيام النظام المدني في الجزائر:

بعد إعلان الجمهورية الثالثة في فرنسا، ارتفعت مطالب المستوطنين الأوروبيين في الجزائر بضرورة إنهاء الإدارة العسكرية، وقد استجابت حكومة الدفاع الوطني[5] لهذه المطالب[6]، فأصدرت خلال

---

[1] نابليون الثالث: (Charles-Louis Napoléon Bonaparte): هو ابن لويس بونابرت، وابن شقيق نابليون الأول، كان امبراطور فرنسا (1852-1870م)، أُطيح به بعد الهزيمة في الحرب الفرنسية البروسية، ونُفي إلى إنجلترا حيث توفي عام 1873م. ينظر: Andrew Roberts, Napoléon the Great, Penguin Books, London, 2014, P: 987.

[2] المملكة العربية: مشروع أعلنه نابليون الثالث عام 1863م، حيث صرَّح بأنَّ الجزائر "مملكة عربية" وسكانها متساوون مع الفرنسيين تحت حكمه، لكنَّه واجه معارضة المستوطنين والعسكريين الذين عملوا على إفشاله. ينظر: أرزقي شويتام، "سياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر (1830-1914م)"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مج 2، ع 2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ديسمبر 2020م، ص: 203.

[3] إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962م)، ط 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص ص: 127-128.

[4] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989م، ج 1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص: 226.

[5] حكومة الدفاع الوطني: تُعدّ حكومة مؤقتة أُعلنت في 4 سبتمبر 1870م بـ فندق المدينة بباريس، عقب هزيمة الجيش الفرنسي في سيدان وأسر نابليون الثالث، وقد أدى ذلك إلى سقوط الإمبراطورية الثانية وإعلان الجمهورية الفرنسية، فتشكلت هذه الحكومة لتولي قيادة البلاد. ينظر: Victor Hugo, Choses vues "Souvenirs, Journaux, Cahiers" (1870-1885), Édition Établie Présentée et Annotée par Hubert Juin, Édition Gallimard, Paris, 1972, P: 14.

[6] أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950م)، تر: بهاء فهمي، مر: أحمد عزت عبدالكريم، ط 6، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1967م، ص: 529.

خمسة أشهر فقط ما يقارب 58 قرارًا ومرسومًا[1] لتعزيز إدماج[2] الجزائر إداريًا بفرنسا، هذا التوجه ساعد على تمكين المستوطنين من التحكم في مختلف المؤسسات المحلية، وتمثّل أيضًا في تعيين نوّاب عن الجزائر في البرلمان الفرنسي، وإنشاء مجالس عامة منتخبة على غرار النظام الفرنسي، إضافةً إلى تحويل صفة الحاكم العام من "عسكري" إلى "مدني".[3]

وفي هذا السياق أرسل "لافيجري"[4] (Lavigerie) في 1 ديسمبر 1870م، تقريرًا مطولًا إلى الحكومة الفرنسية، ومن جملة ما ورد فيه: "... أن يعلن في أقرب الآجال عن الإدماج التام للجزائر بفرنسا، وأن تلغى جميع أشكال الإدارة المركزية في مدينة الجزائر... فلا يجب أن يبقى في الجزائر سوى (ولايات وولات)...".[5]

---

[1] قرارًا: أو القرار، وهو تصرف قانوني وحيد الطرف صادر عن سلطة إدارية مختصة بهدف إحداث أثر قانوني. ينظر: عبد اللطيف رزايقية، "القرار الإداري محل الخصومة الإدارية كشرط لقبول دعوى الإلغاء"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 6، ع 2، جامعة أم البواقي، الجزائر، ديسمبر 2019م، ص: 185.

مرسومًا: أو المرسوم، وهو نص قانوني، يصدره رئيس الدولة بصدد ممارسة وظيفته الإدارية والمحددة بنصوص الدستور، أو بموجب العرف الدستوري، ويهدف إلى تنفيذ القوانين وتحديد كيفية تطبيقها. ينظر: مولاي هاشمي، "المرسوم كآلية للتشريع في المنظومة القانونية الجزائرية"، **مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية**، مج 3، ع 6، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، جوان 2014م، ص: 68.

[2] إدماج: هو عملية فرض النظم والقوانين الفرنسية على الفرنسيين والأوروبيين المتجنسين بالجنسية الفرنسية في الجزائر، بهدف جعلهم يشعرون بأنهم في فرنسا نفسها، من حيث الإدارة والتعليم والقوانين والانتخابات، دون اعتبار للسكان الجزائريين الأصليين. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م، ص: 368.

[3] Henri Lorin, L'Afrique du Nord, Tunise - Algérie - Maroc, Librairie Armand Colin, Paris, 1908, P: 351.

[4] لافيجري: (Charles - Martial Allemand - Lavigerie) وُلد في هوير بالقرب من بايون في 31 أكتوبر 1825، رجل دين فرنسي، ومؤسس جمعية الآباء البيض سنة 1868م، لعب دورًا بارزًا في نشر المسيحية في الجزائر وافريقيا، توفي سنة 27 نوفمبر 1892م. ينظر: Félix Klein, Le Cardinal Lavigerie et ses œuvres D'Afrique, Nouvelle Édition Complétement Refondue, Alfred Mame et Fils, Tours, 1897, P: 11, P: 146, P: 334.

[5] شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919م)، ج 1، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، ص: 93.

وقد عكس هذا التحول إلى نظام مدني رغبة حقيقية لدى المستوطنين الأوروربيين، الذين كان أغلبهم من المستعمرين الباحثين عن النفوذ والمصالح الشخصية، والذين اتخذوا من الجزائر وطنًا دائمًا، وسعوا إلى طمس هوية السكان الأصليين وإقصائهم من الحياة العامة[1]، وكنتيجةً لذلك، تمّ تقسيم الشمال الجزائري إلى ثلاث مقاطعات مدنية، في حين بقي الجنوب خاضعًا للحكم العسكري، وأصبحت السلطة التشريعية في الجزائر مرتبطة مباشرةً بقرارات البرلمان الفرنسي وفقًا لدستور الجمهورية الثالثة.[2]

2-1- هياكل النظام المدني في الجزائر:

منذ سنة 1871م، بدأ تطبيق النظام المدني في الجزائر، والذي جاء ليعوّض النظام العسكري السابق بهياكل إدارية جديدة، تهدف إلى ضمان استمرار سيطرة فرنسا على البلاد، تحت مبرر تنظيم المصالح العامة، وقد تمثلت أبرز هذه الهياكل فيما يلي:

أ- المجلس الأعلى للحكومة:

يُعد هذا المجلس أعلى هيئة إدارية في الجزائر آنذاك، وكان عبارة عن جمعية مسؤولة عن مناقشة مشاريع الميزانية والتصويت عليها.

في البداية، كان المجلس يضُم فقط أعضاء فرنسيين، إلى أن صدر مرسوم 23 أوت 1898م، الذي سمح بمشاركة بعض الجزائريين المسلمين، ومنحهم نفس الحقوق التي يتمتع بها المستوطنون الأوروبيون، مثل: الانتخاب والمداولة.[3]

---

[1] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د.ط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م، ص ص: 123-124.

[2] براكة ميلود، الاتجاهات الاستقلالية في الحركات الوطنية المغاربية (الجزائر والمغرب الأقصى) دراسة تاريخية مقارنة، د.ط، دار القدس العربي، الجزائر، 2019م، ص: 24.

[3] بوضرياسة بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930م) وانعكاساتها على المغرب العربي، د.ط، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م، ص: 220.

ب- النيابات المالية:

تأسست بموجب مرسوم 23 أوت 1898م، وكانت تتكون من ثلاث لجان: لجنة مالية للمستوطنين الفرنسيين، لجنة للمستوطنين الأوروبيين غير الفرنسيين، ولجنة ثالثة مخصصة للجزائريين المسلمين.

ج- المجالس العامة:

حدّد مرسوم 23 سبتمبر 1875م، ومرسوم 24 سبتمبر 1908م، تركيبة هذه المجالس التي ضمت ممثلين عن الأهالي الجزائريين إلى جانب الفرنسيين، ولكن هؤلاء الممثلين كانوا يُعيّنون من طرف الحاكم العام، كما أنَّ قانون 22 نوفمبر 1872م، هو الذي منح المستشارين العامين حقوقهم.[1]

ورغم وجود الجزائريين في هذه المجالس، إلا أنَّ مشاركتهم بقيت شكلية، حيث كان يتم تهميش آرائهم وتجاهل أقوالهم، ممَّا أدى إلى إقصائهم من أي تأثير حقيقي في الحكم.[2]

د- المجالس البلدية:

نصّ قانون 1884م، ومرسوم 7 أفريل 1884م، على تنظيم المجالس البلدية، والتي ترأسها "شيخ البلدية"، وقد تمّ إدراج تمثيل رسمي للجزائريين في البلديات التابعة للنظام المدني.

هـ- اللجان البلدية الخاصة ببلديات الأهالي:

تكونت هذه اللجان من القائد الأعلى للدائرة ونائبه "رئيس الملحق"، إلى جانب ممثلين من الأهالي، كانوا يُعيّنون كأعوان للإدارة الفرنسية، لكن دورهم بقي محدودًا، حيث كان يُسمح لهم فقط بحضور الاجتماعات والمداولة حول نتائج القرارات دون أن يكون لهم تأثير فعلي في اتخاذها.[3]

2-2- التنظيم البلدي في المناطق المدنية:

شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية تنظيمًا بلديًا خاصًا، فرضته الإدارة الفرنسية لخدمة مصالحها، وتميّز هذا النظام بوجود ثلاثة أنواع رئيسية من البلديات، اختلفت حسب عدد السكان وطبيعة المنطقة، وهي:

---

[1] بوضرياسة بوعزة، المرجع السابق، ص ص: 220-221.

[2] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1956م، ص: 105.

[3] بوضرياسة بوعزة، المرجع السابق، ص: 222.

البلديات الكاملة الصلاحية، البلديات المختلطة، والبلديات الأهلية.[1]

أ- البلديات الكاملة الصلاحية:

هي البلديات التي كان يتركز فيها عدد كبير من الأوروبيين، وكانت تُسيّر حسب القانون البلدي الفرنسي الصادر في 04 أفريل 1884م، وعلى الرغم من أنَّ الجزائريين المقيمين كانوا يدفعون الضرائب والرسوم المختلفة، إلّا أنَّهم كانوا محرومين من أبسط الحقوق، مثل: حق الانتخاب.[2]

تتولى هذه البلديات مسؤولية إعداد الميزانية وتطبيق القوانين والضرائب والتعليم والصحة[3]، وكانت تُدار من طرف رئيس بلدية، ومجلس بلدي، لكنها تختلف عن بلديات فرنسا من حيث المساحة والتكوين، فبينما كانت البلديات الفرنسية صغيرة الحجم ومترابطة اجتماعيًا، كانت نظيرتها في الجزائر واسعة جدًا وتضُمّ سكانًا من خلفيات مختلفة.[4]

في سنة 1879م، بلغت مساحة بعض البلديات الجزائرية حوالي 30,000 هكتار، وهو ما سمح بضَّم قرى عربية لدعم ميزانياتها، وحتى بعد تقليص المساحات وزيادة عدد البلديات، استمر استغلال القرى الجزائرية، وقد عبَّر "جول فيري"[5] (Jules Ferry) عن هذا بقوله: "... إنَّ البلدية الكاملة الصلاحية هي استغلال لابن البلد بشكل مكشوف...".[6]

---

[1] نادية زروق، سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر (1870-1900م)، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص: 64.

[2] محمود أيت مدور، الحركة العمّاليّة في الجزائر إبَّان الحقبة الاستعمارية (1830-1962م) بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص: 39.

[3] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير (1830-1962م)، د.ط، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2007م، ص: 70.

[4] Augustin Bernard, L'Organisation Communale des Indigénes de L'Algérie, Émile Larose Libraire - Éditeur, Paris, Août et Septembre 1918, P: 17.

[5] جول فيري: (Jules Ferry): (1832-1893م) كان محاميًا فرنسيًا بارزًا، انضم إلى نقابة المحامين في 20 ديسمبر 1851م، وهو نفس اليوم الذي أدى فيه الاستفتاء إلى تعزيز النظام الاستبدادي بقيادة لويس نابليون بونابرت، وكان فقيهًا جيدًا، وخطيبًا سياسيًا، وصاحب دور بارز في السياسة الفرنسية، حيث اشتهر بإصلاحات التعليم والدعوة للتوسع الاستعماري. ينظر: Maurice Reclus, Jules Ferry (1832-1893), Flammarion, Paris, 1947, P: 11, P: 17.

[6] شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات، لبنان - فرنسا، 1982م، ص: 81.

ب- البلديات المختلطة:

تكونت من مراكز استيطانية وقرى ودواوير وقبائل، وكان عدد الأوروبيين فيها قليلًا، لذلك لم تُخول لها الحقوق نفسها التي تتمتع بها البلديات كاملة الصلاحية.[1]

وكان المحافظون يُعينون عن طريق الصدفة من موظفي الإدارة الجزائرية، وفي 26 مارس 1892م، أصدر الحاكم العام "جول كامبون"[2] (Jules Cambon)، قرارًا بفتح باب الترشيح لوظيفة محافظ بلدي أمام خريجي مدرسة العلوم السياسية وحاملي شهادة اللغة العربية، مع منعهم من الإقامة أو امتلاك الأراضي، ثمّ صدر قرار بتاريخ 20 أفريل 1896م، لتنظيم عمل الإدارة الجزائرية واختيار نواب للمحافظين.[3]

ج- البلديات الأهلية:

أُقيمت في المناطق العسكرية البعيدة التي لم يكن فيها وجود أوروبي كبير، وكانت تُدار من قبل ضباط الشؤون الأهلية، ومع وصول عدد قليل من المستوطنين لاحقًا، تحوَّلت بعضها إلى بلديات مختلطة ووصل عددها إلى 12 بلدية أهلية في سنة 1900م.[4]

---

[1] نادية زروق، المرجع السابق، ص: 68.

[2] جول كامبون: (Jules Cambon): هو جول مارتن كامبون، من مواليد عام 1845م بالعاصمة الفرنسية باريس، كان دبلوماسيًا، تولى عدة مناصب في الجزائر قبل تعيينه حاكمًا عامًا، حيث عُين عام 1878م محافظًا لمدينة قسنطينة، وأصبح منذ عام 1882م عضوًا في البرلمان الفرنسي، مفوضًا عامًا للحكومة، شغل منصب حاكم عام الجزائر من 1891م إلى 1897م، حيث عمل على تنظيم الإدارة الاستعمارية وتعزيز السيطرة الفرنسية. ينظر: سبيحي عائشة، "الحاكم العام جول كامبون وسياسة فرنسا الإسلامية في الجزائر (1891-1897م)"، **مجلة المفكر**، مج 8 ،ع 1، المركز الجامعي مرسلي عبد الله- تيبازة، الجزائر، 1435هـ - جوان 2024م، ص ص: 209-210.

[3] شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919م)، ج 2، المرجع السابق، ص ص: 10-11.

[4] شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 82.

كان على رأس هذه البلديات شخص يُعرف بـ "القايد"[1]، يُساعده مجلس من أعيان القبيلة يُعرف باسم "الجمَاعة" (Djemaâ)، وكان هذا المجلس يشرف على تسيير الشؤون الإدارية والتنظيمية للمنطقة.[2]

3- القوانين والمراسيم الإدارية:

اعتمدت فرنسا على مجموعة من القوانين والمراسيم الإدارية لتنظيم مستعمرتها الجزائر، بما يضمن خدمة مصالحها وتعزيز وجود المستوطنين الأوروبيين، في المقابل، فُرضت قيود كثيرة على الجزائريين، وظهر ذلك بوضوح من خلال مراسيم مثل: مرسوم كريميو، قانون الأهالي، وقانون الاستقلال المالي.

3-1- مراسيم تمكين المستوطنين:

ضمن سياسة فرنسا لدمج الجزائر إداريًا وسياسيًا معها، أصدرت 36 مرسومًا غيّرت من شكل الإدارة الاستعمارية، حيث انتقلت السلطة تدريجيًا من يد العسكريين إلى أيدي المستوطنين الأوروبيين، ومن أبرز هذه المراسيم:

أ- **مرسوم (4 أكتوبر 1870م):** زاد عدد ممثلي الجزائر في البرلمان الفرنسي من 4 إلى 6 نُواب، ما عزّز الوجود السياسي للأوروبيين في فرنسا.

ب- **مرسوم (8 أكتوبر 1870م):** أنشأ منصب "الحاكم العام المدني" المسؤول عن حكم ثلاث ولايات جزائرية، وكان يتواصل مع الحكومة الفرنسية مباشرةً بدلًا من وزارة الحرب.[3]

---

[1] القايد: هو موظف صغير مسلم، يختارونه غالبًا من قدماء المحاربين، ليكون حارسًا للنظام في القرى والمداشر والبادية، ويعين السلطة على استخلاص الضرائب، وتجنيد الناس. لم يكن يتقاضى راتبًا كافيًا من الإدارة، بل كانت تتغاضى عن الأساليب التي يتبعها لكسب عيشه، وتوسيع ثروته. ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص: 102-103.

[2] Emile Larcher et Géorges Rectenwald, Traité Élémentaire de Législation Algérienne, L'Algérie Organisation Politique et Administrative, T. 1, 3éme Édition, Librairie Arthur Rousseau, Paris, 1923, P: 753.

[3] علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، د.ط، دار المعرفة، لبنان، 2015م، ص: 664.

ج- مرسوم (10 نوفمبر 1870م): منح الأوروبيين سلطة تعيين الولاة في المناطق العسكرية، مما أعطى المدنيين سلطة على المسؤولين العسكريين.[1]

د- مرسوم (24 ديسمبر 1870م): ألغى الإدارة العسكرية تدريجيًا، وبدأ تحويل المناطق إلى سلطة مدنية تحت سيطرة المستوطنين.[2]

هـ- مرسوم (29 مارس 1871م): قسّم الجزائر إلى إقليم شمالي مدني وآخر جنوبي عسكري، ووسّع صلاحيات الحاكم العام المدني، كما منح الأوروبيين امتيازات سياسية، منها: إنشاء المجالس البلدية وانتخاب النُواب وتأسيس مجالس استشارية خاصة بهم.[3]

3-2- مرسوم كريميو (Crémieux Décret 1870):

بفضل جهود إسحاق كريميو[4] صدر هذا المرسوم عن حكومة الدفاع الوطني بباريس في 24 أكتوبر 1870م، ونصَّ على التجنيس[5] الجماعي ليهود الجزائر البالغ عددهم أكثر من 34.574 يهودي بالجنسية الفرنسية، ممَّا رفع من شأنهم وميَّزهم عن المسلمين من جميع النواحي القانونية

---

[1] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص: 664.

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م، ص ص: 138-139.

[3] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص: 27.

[4] إسحاق كريميو: (Crémieux Adolphe Isaac Moise): (1796-1880م) سياسي ومحامٍ فرنسي، كان نائبًا يساريًا وانتخب عن الجزائر عام 1870م، أصدر "مرسوم كريميو" الذي منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر، وشغل منصب السيناتور مدى الحياة عام 1875م بعد قمع ثورة 1871م، وفرض قانونًا أدى إلى مصادرة 446,406 هكتارات من أراضي الجزائريين. ينظر: بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، ط 1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1402هـ-1982م، ص: 84.

[5] التجنيس: هو وسيلة يكتسب بها الأجنبي جنسية الدولة التي ينبغي الانضمام إليها، وبذلك فهو عمل إرادي يتوقف على إرادة الفرد طالب الجنسية، وإرادة الدولة مانحة الجنسية من ناحية أخرى. ينظر: فرقاني قويدر نور الإسلام، "التجنس الخاص في التشريع الجزائري والتشريعات المقارنة"، **مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية**، مج 4، ع 2، المركز الجامعي مرسلي عبد الله بـ تيبازة، الجزائر، 2020م، ص: 9.

والسياسية والاقتصادية والاجتماعية[1]، وقد أكَّد المرسوم على أنَّ حق المواطنة الفرنسية لليهود لا يقبل الطعن.[2]

مرسوم كريميو لم يصدر بسبب محبة لليهود، بل كان هدفه فصلهم عن بقية الشعب الجزائري وتعزيز ارتباطهم بفرنسا، أمَّا الجزائريون المسلمون فظلوا خاضعين لقوانين استثنائية تُقيّد حقوقهم.[3]

وفي 7 أكتوبر 1871م، صدر مرسوم يؤكد استمرار العمل بمرسوم حارس الأختام بباريس في 24 أكتوبر 1870م[4]، الذي منح الجنسية الفرنسية لليهود في الجزائر، ممَّا جعلهم يتمتعون بحقوق المواطنة الفرنسية كاملة.[5]

نتج عن مرسوم كريميو عدّة آثار، من أبرزها: زيادة عدد اليهود الحاصلين على الجنسية الفرنسية، تعزيز سيطرة الإدارة الاستعمارية بفضل تعاونهم، ارتفاع مكانتهم ونفوذهم، إلى جانب تغريبهم، كما أدى المرسوم إلى خلق توتر متزايد بين المسلمين واليهود، بلغ ذروته في أواخر القرن التاسع عشر.[6]

وقد تباينت ردود الفعل داخل المجتمع الجزائري، حتى داخل الجالية اليهودية نفسها، إذ رفض بعضهم هذا المرسوم حفاظًا على تقاليدهم وهويتهم، بينما قبلته أقلية محدودة خاصةً في مدينة

[1] رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج 1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص: 83.

[2] معوشي أمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-1870م)، د.ط، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 215.

[3] Albert Léon Guérard, French Civilization in the Nineteenth Century A Historical Introduction, The Century Co, New York, 1914, P: 285.

[4] عبد الرحمن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 5، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص: 163.

[5] Patrick Weil, Le Statut des Musulmans en Algérie Coloniale une Nationalité Français Dénaturée, EUI Working Paper HEC, No. 3, European University Institute, Département of History and Civilization, Florence, 2003, P: 4.

[6] بشير بلاح، المرجع السابق، ص ص: 232-233.

الجزائر[1]، أمَّا الجزائريون المسلمون فقد عبَّروا عن رفض شديد، معتبرين أنَّ تجنيس اليهود يُمثل ظلمًا كبيرًا لهم، ومن أبرز المواقف ماعبَّر عنه ابن علي الشريف باش آغا شلاظة[2]، الذي صرّح أمام أحد القادة الفرنسيين قائلًا: "... كم نحن مجروحون من تجنيس اليهود بالجملة، دون تفريق أو تمييز...".[3]

كما عبَّر جزائريون آخرون عن استيائهم بعبارات حادّة، من بينها: "... فرنسا لم تعد شيئًا لأنَّ يهوديًا يحكمها..."، في حين قال بعضهم: "... هذا دليل على أنَّ الله قد أعمى الفرنسيين، وأنَّ يوم رحيلهم وانتصار الإسلام قد اقترب...".[4]

وفي موقف مختلف أشار مصالي الحاج[5] إلى تجربته الشخصية قائلًا: "... أصحابي اليهود من الحي كانوا لا يتفاعلون مثل الفرنسيين فقد كانوا أكثر احترامًا للأعراف وكانت علاقتنا مع اليهود بصفة عامة إنسانية وودية حتى ولو كان هناك شيء من الانزعاج بسبب مرسوم كريميو الذي أعطى لليهود الجزائريين الجنسية الفرنسية سنة 1870م...".[6]

3-3- قانون الأهالي:

في 28 جوان 1881م، أصدرت الإدارة الاستعمارية قانون خاص بالجزائريين المسلمين يُعرف بـ "قانون الأهالي" أو "الإنديجانا"، وكان عبارة عن مجموعة من العقوبات القاسية لا علاقة لها بالقانون

---

[1] عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2008م، ص: 91.

[2] ابن علي الشريف باش آغا شلاظة: هو محمد السعيد ابن علي الشريف، وُلد سنة 1820م، وتولى منصب باش آغا في سنٍّ مبكرة سنة 1844م بتعيين من الجنرال بوجو، مستفيدًا من مكانة زاوية شلاطة التي كان يرأسها، اتُّهم بالتقرب من الفرنسيين والتفريط في دور الزاوية العلمي والديني، خاصة خلال ثورة 1871م، ما أثّر على سمعتها. رغم ذلك، استمرت الزاوية في تقديم التعليم، ودرس فيها علماء منهم البشير الإبراهيمي، توفي سنة 1896م، وخلفه ابنه الشريف بن علي الشريف، الذي حافظ على الزاوية ونال احترام العلماء والدولة الفرنسية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 3، المرجع السابق، ص ص: 183-184.

[3] بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 86.

[4] Louis Vignon, La France en Algérie, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1893, P: 359.

[5] مصالي الحاج: وُلد في 15 ماي 1898م بمدينة تلمسان، التحق بالجيش الفرنسي لأداء خدمته العسكرية عام 1918م، وعُيّن عريفًا في الجيش عام 1919م، اشتهر بمناهضته للاستعمار، وكان من أبرز رواد الحركة الوطنية الجزائرية، توفي في فيفري 1974م. ينظر: Benjamin Stora, Messali Hadj Pionnier du Nationalisme Algérien (1898-1974), Éditions L'Harmattan, Paris, 1986, P: 30, P: 33, P: 281.

[6] مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج (1898-1938م)، تر: محمد المعراجي، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2006م، ص: 90.

العام الفرنسي، شمل القانون في بدايته 41 مخالفة، وتمَّ تقليصها إلى 21 مخالفة سنة 1891م، ليأخذ شكله النهائي في ديسمبر 1897م. من بين أبرز ما جاء فيه:[1]

أ- إعطاء الحاكم العام الحق في معاقبة الأهالي دون الحاجة لمحاكمة.

ب- تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية عند وقوع جناية.

ج- السماح للإدارة بحبس الأشخاص أو مصادرة أملاكهم دون حكم قضائي.

د- فرض رخصة خاصة على الجزائريين إذا أرادوا التنقل بين مناطق البلاد.

هـ- منح رئيس البلدية صلاحية قاضي الصلح في حالة غيابه لإصدار الغرامات.[2]

وفي 29 ماي 1888م، صوتت الجمعية على تمديد القانون لمدة سبع سنوات، لكن في مجلس الشيوخ، اعترض الشيخ "شولشر"[3] (Schoelcher) بشدَّة على تصريح السفر، قائلًا: "... إنَّه نظام العبودية، فالعبيد لا يسافرون بدون تصريح تنقل...".[4]

---

[1] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص: 38.

[2] صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة محاضرات ألقاها الدكتور صلاح العقاد على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية وملحق بها الترجمة العربية لاتفاقيات إيفيان، د.ط، جامعة الدول العربية – معهد الدراسات العربية، مصر، 1964م، ص: 14.

[3] شولشر: (Schoelcher): وُلد فيكتور شولشر بباريس في 22 جويلية 1804م، كان ملحدًا وعضوًا في جمعية سرية تُدعى "الفرقة الحرة للمدارس"، انخرط في محافل ماسونية ثورية ودافع عن مبادئ الحرية والمساواة. رغم غناه، كرَّس حياته للدفاع عن حقوق الإنسان. توفي في 25 ديسمبر 1893م ونُقل إلى البانثيون (Panthéon) عام 1949م. ينظر: Anne Ulrich-Girollet, Victor Schælcher Républicain et Franc-Maçon, 2e éd, Éditions Maçonniques de France, Paris, 2019, PP: 19-21, P: 93.

[4] Charles Robert Ageron, Histoire De L'Algérie (Contemporaine de L'Insurrection de 1871 au Déclenchement de la Guerre de Libération 1954), T. 2, Presses Universitaire de France, Paris, 1979, P: 25.

3-4- قانون الاستقلال المالي (1900م):

صدر هذا القانون في 19 ديسمبر 1900م، ومنح الجزائر نوعًا من الاستقلال في التسيير المالي[1]، استجابةً لمطالب المعمّرين (الكولون)، كما أعطى للجزائر ميزانية خاصة تُقترح من طرف الحاكم العام ويتم مناقشتها من قبل مجلس مالي[2]، إلى جانب الإشراف على مشاريع البنية التحتية مثل: السكك الحديدية والمواصلات والكهرباء... إلخ.[3]

سمح القانون للجالية الأوروبية بإنشاء مجلس مالي، ثم مجلس جزائري، وذلك لكي تحكم قبضتها على الجزائر، وتمنع السكان المسلمين من الحصول على حقوقهم السياسية والاقتصادية، وحرمانهم من التمثيل النيابي العادل في المجالس.[4]

4- إصلاحات كليمنصو وقانون 4 فيفري 1919م:

بين عامي 1918 و1919م، قام جورج كليمنصو بإدخال بعض الإصلاحات لتحسين الوضع المالي للجزائريين، مثل: دعم الضرائب التقليدية كـ "الزكاة".[5]

وفي هذا السياق صدر قانون 4 فيفري 1919م، الذي منح بعض الجزائريين الجنسية الفرنسية، لكنَّهم ظلوا مُصنفين كرعايا فرنسيين وليسوا مواطنين[6]، كما تضمن القانون إلغاء بعض الضرائب وتقليل حدة قانون الأهالي، وسمح للجزائريين بالتصويت ولكن دون زيادة في عدد مقاعدهم، ومع ذلك،

---

[1] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925م)، د.ط، جامعة قالمة، الجزائر، 2010م، ص: 165.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ص: 28.

[3] محمد بليل، تشريعات الاستعمار في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين (1881-1914م)، د.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م، ص: 321.

[4] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)، د.ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002-2003م، ص: 198.

[5] Hassan Remaoun, Dictionnaire du Passé de L'Algérie De La Préhistoire à 1962, Édition Dgrst / Crasc, Alger, 2015, P: 49.

[6] Richard and Joan Brace, Ordeal in Algéria, D. Van Nostrand Company, USA, 1960, P: 27.

لم يحل هذا القانون مشكلة التجنيس والمساواة، حيث ظل الجزائري (الأهلي) يُعتبر من رعايا الدولة الفرنسية وليس مواطنًا يتمتع بكافة حقوق المواطنة الفرنسية.[1]

5- النظام القضائي:

بدأ تطبيق نظام القضاء الفرنسي في الجزائر تدريجيًا، حيث تمَّ إنشاء نظام المحلَّفين في محاكم الجنايات بتاريخ 24 أكتوبر 1870م، وقد بلغ عدد هذه المحاكم أربعة موزَّعة على مدن: الجزائر، وهران، قسنطينة، وعنابة.

ثمّ صدر قانون 23 أفريل 1881م، الذي نصَّ على تأسيس محاكم مختصة بالحرف والصنائع[2]، وفي 30 أوت 1883م، تمَّ ربط المحاكم الجزائرية رسميًا بنظام القضاء الفرنسي، ليكتمل هذا التحول بموجب قرار 28 أفريل 1919م، الذي منح رجال القضاء الفرنسيين في الجزائر نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها نظراؤهم في فرنسا.[3]

أمَّا بخصوص القضاة المسلمين فقد بدأت عملية تقييد صلاحياتهم منذ قرار 1889م، حيث أصبح قاضي الصلح هو الوحيد المُخول بالنظر في قضايا المسلمين، كما تمَّ تجريدهم من الصلاحيات في القضايا المدنية والجنائية، مع الإبقاء على صلاحيات محددودة في قضايا الأحوال الشخصية، مثل: الزواج والطلاق والميراث، ومع ذلك كانت هذه القضايا تُحوّل في حال وجود خلافات مالية إلى المحاكم الفرنسية.[4]

---

[1] أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج 1، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص: 48.

[2] فاضلي إدريس، المدخل إلى تاريخ النظم، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م، ص: 368.

[3] العربي بختي، تاريخ النظم القانونية القديمة والإسلامية والجزائرية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م، ص: 459.

[4] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير (1830-1962م)، المرجع السابق، ص: 75.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

عرفت الجزائر خلال الفترة ما بين 1870 و1920م تحولات كبيرة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، نتيجة السياسة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا، والتي ساهمت في تدهور أوضاع الجزائريين وزادت من الفوارق بين الطبقات.

1- الأوضاع الاجتماعية:

أثرت السياسة الاستعمارية بشكل مباشر على المجتمع الجزائري، خاصةً في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث أدّت المجاعات، والأمراض، والقمع إلى انخفاض كبير في عدد السكان، فقد تسببت مجاعة (1886-1888م) وحدها في وفاة ما يقارب نصف مليون شخص، وأثَّرت بشكل كبير على الهيكل الاجتماعي العام، ولم تُبد السلطات الفرنسية أي اهتمام بهذه المآسي، بل ساهمت في تعميقها من خلال سياسات إقصائية زادت من تفكك المجتمع وانتشار الفقر حتى بين أفراد الطبقة البرجوازية[1]، كما ظهرت تحولات اجتماعية جديدة مثل: النزوح نحو المدن، وتزايد نفوذ الرأسمالية الأوروبية واليهودية[2]، إلى جانب ارتفاع معدلات الهجرة نحو الخارج خاصةً إلى (بلاد الشام، الحجاز، وفرنسا)، حيث بلغ عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى نحو 270,000 مهاجر، ما أدى إلى ظهور الزواج المختلط وانتقال بعض العادات الغربية إلى الأسر الجزائرية.[3]

---

[1] البرجوازية: أصل كلمة "البرجوازية" باللاتينية تعني التمدن في نمط وأسلوب الحياة والأفكار، فأصل الكلمة من (Bourg) أي المدينة، وتعني السكان الذين يتمتعون بالحقوق المدنية ولهم حق العيش داخل المدن وكطبقة اجتماعية، فهي تصنف على أنها في قمة الطبقة المتوسطة وتتكون أساسا من التجار وكبار الموظفين في الدولة. ينظر: رابح زغوني، "دور البرجوازية العربية في ترسيخ نمط الاقتصاد السياسي المتمركز على الدولة في العالم العربي"، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مج 14، ع 2، جامعة قالمة، الجزائر، سبتمبر 2020م، ص: 184.

[2] مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2014م، ص ص: 115-116.

[3] الوناس الحواس، "الأوضاع الاجتماعية للجزائر بين سنوات (1830-1930م)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 1، ع 1، جامعة البويرة، الجزائر، جانفي 2013م، ص: 100.

وقد استغلت الإدارة الاستعمارية هذه التحولات لترسيخ سياسة "فرق تسد" من خلال عزل المناطق عن بعضها وتشجيع الجهوية، إذ ركزت على الفروقات العرقية واللهجات والفولكلور[1] المحلي على حساب الثقافة العربية الإسلامية، بهدف إضعاف الوحدة الوطنية وخلق انقسامات بين الجزائريين، خاصةً بين العرب والأمازيغ، وسكان المدن والأرياف.[2]

وقد أشار مالك بن نبي[3] إلى بعض التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، مستشهدًا بالمجتمع القسنطيني الذي تأثر بشكل واضح بالسياسات الفرنسية، حيث قال: "... فقد كان المجتمع القسنطيني يعاني من تدهور أوضاع الطبقات العليا في حين تفاقمت معاناة الفئات الفقيرة، حتى ملابس الرجال شملها هذا التطور المتدهور. ففي شوارع قسنطينة بدأت تختفي العمائم والبرانس...".[4]

[1] الفولكلور: هو التراث الشعبي الذي يشمل جميع العقائد، العادات، المأثورات، الحكايات، الأغاني، الرقصات والممارسات التقليدية التي يتم تناقلها شفهيًا أو عبر الممارسة بين الأفراد في المجتمع، ويعكس الفولكلور ثقافة الشعب وقيمه. ينظر: فوزي العنتيل، الفولكلور ماهو؟ دراسات في التراث الشعبي، د.ط، دار المعارف، مصر، 1965م، ص ص: 35-36.

[2] الوناس الحواس، المرجع السابق، ص: 99.

[3] مالك بن نبي: وُلد مالك بن نبي سنة 1905م بمدينة قسنطينة، ونشأ في أسرة بسيطة. تنقل في طفولته بين تبسة وقسنطينة، والتحق في عام 1921م بمدرسة قسنطينة التي تحولت إلى المدرسة الفرنسية الإسلامية، خلال هذه الفترة، تأثر بأستاذ فرنسي يُدعى مارتن، شجعه على المطالعة، فبدأ يقرأ باللغتين العربية والفرنسية، كما تأثر بأفكار العلماء الإصلاحيين مثل الشيخ عبد المجيد، وكان يحضر بعض الدروس في الجامع الكبير، تابع الصحف الوطنية، واندمج تدريجيًا في الحركة الإصلاحية، ممَّا ساعده على تكوين وعي فكري ونقدي تجاه الاستعمار وأوضاع المجتمع. ينظر: فوزية بريون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، د.ط، دار الفكر، سوريا، 2010م، ص ص: 104-107، ص ص: 109-110.

[4] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط 2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، سوريا، 1404هـ-1984م، ص: 18.

وبشكل عام، فإنَّ السياسات الاستعمارية وسّعت من الأزمة داخل المجتمع حيث فقد الأعيان والعائلات الكبرى سلطتهم ومكانتهم، وزادت الأوبئة والهجرات من تفاقم الوضع[1]، كما ساهمت القوانين الإدارية التعسفية مثل: قانون الأهالي في تفكيك بنية المجتمع التقليدي.[2]

1-1- الوعي الشعبي ومقاومة الاستعمار:

رغم الظروف الصعبة بدأ الوعي السياسي والاجتماعي في التزايد لدى الجزائريين، حيث لجأ البعض إلى تقديم عرائض احتجاج ضد سياسات فرنسا، ومن أبرزها، تلك التي قدمها أحمد ولد القاضي سنة 1878م في باريس، والتي عبّر فيها عن رفضه للسياسات الفرنسية المُجحفة خاصةً ما تعلق بأموال الأهالي ودينهم ومعتقداتهم. كما عبّر سكان قسنطينة عن رفضهم لسياسة التجنيس من خلال عريضة مهمة بتاريخ 10 جويلية 1887م دافعوا فيها عن القضاء الإسلامي. ورغم هذه المواقف، إلّا أنَّ السلطات الفرنسية تجاهلت تلك المطالب، ممَّا زاد من مظاهر الغضب الشعبي، ورفض محاولات طمس الهوية الجزائرية.[3]

1-2- قانون الحالة المدنية:

بتاريخ 23 مارس 1882م، أصدرت فرنسا قانونًا يتعلق بالحالة المدنية للجزائريين، ليستخدم كأداة فعالة لمراقبة تحركات السكان ومتابعة التطور الديمغرافي[4]، وقد نصّ على فرض نظام الألقاب العائلية في الجزائر، وتضمن 23 مادة مقسمة إلى بابين: الباب الأول تناول إقامة الأحوال النسبية للمسلمين، وتسجيل الألقاب في "الدفتر الأم"، وبالنسبة للباب الثاني المعنون بـ "إجراءات عقود الحالة

---

[1] ليلة تيتة، "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 6، ع 17، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ديسمبر 2014م، ص: 141.

[2] صليحة علامة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962م عمالة الجزائر نموذجا - دراسة تاريخية -، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2016-2017م، ص:98.

[3] أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج 1، د.ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص: 26-27.

[4] محمد بليل، المرجع السابق، ص: 286، ص: 294.

المدنية" اشتمل على ثمان مواد، حيث تناولت المواد الأربع الأولى (من المادة 16 إلى 19) كيفية تنظيم عقود الميلاد، بينما خصصت المواد الأربع الأخيرة لوضع تعليمات عقابية عامة.

وكان يهدف هذا القانون، إلى تفكيك الروابط العائلية التقليدية، ودمج الجزائريين في الحياة المدنية الفرنسية وتنظيم حقوقهم وواجباتهم.[1]

1-3- قانون التجنيد الإجباري:

في سنة 1912م، فرضت السلطات الفرنسية قانونًا يُلزم الجزائريين المسلمين بأداء الخدمة العسكرية، لتأمين احتياجاتها العسكرية مع اقتراب الحرب العالمية الأولى، ورغم أنَّ فرنسا خفّضت مدة الخدمة العسكرية للمواطنين الفرنسيين بعد الحرب، إلّا أنّها أبقت الخدمة لمدة ثلاث سنوات كاملة بالنسبة للجزائريين.[2]

أثار هذا القانون موجة من الرفض الواسع، إذ اعتبره الجزائريون شكلًا من أشكال الاستغلال، خصوصًا في ظل غياب امتيازات أو تعويضات مقابل هذه الخدمة. كما تعارض هذا القرار مع الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة، حيث طُلب من الجزائريين التضحية بأرواحهم لصالح دولة تُعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية.[3]

1-4- الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد الاستعماري:

شهدت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تدهورًا كبيرًا في الأوضاع الصحية، خاصةً لدى السكان الجزائريين الذين عانوا من الفقر، وسوء التغذية، ونقص الرعاية الطبية،

---

[1] عبد الوحيد جلامة،" قراءة في قانون الحالة المدنية 23 مارس 1882م"، مداخلة ضمن الملتقى الوطني الخاص: بأعمال الملتقى الوطني حول الألقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والآثار (1873-1962م)، المنعقد يومي 29 و30 أكتوبر 2019م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، مارس 2022م، ص ص: 80-81، ص: 84، ص ص: 86-87.

[2] فرحات عباس، الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة الشاب الجزائري 1930م متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان أفريل 1941م، تر: أحمد منور، د.ط، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص: 35.

[3] ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011م، ص: 41.

وقد أدى هذا الوضع إلى انتشار واسع للأوبئة، في وقت كانت فيه الخدمات الصحية محدودة وموجهة أساسًا لفائدة المعمرين الفرنسيين، ممَّا زاد من معاناة الأهالي في تلك الفترة.

أ- التيفوس (Typhus):

يُعد التيفوس من الأمراض المعدية التي انتشرت بشكل واسع في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وينتقل هذا المرض عن طريق قمل الجسم أو الطفيليات.[1]

في سنة 1870م، أعلن الدكتور "مورين" (Mourine) عن تفشي الوباء في المستشفى المدني، ما أسفر عن وفاة بعض الأخوات البيض العاملات، ورغم تراجع الوباء مؤقتًا إلَّا أنَّه عاد للظهور في سنوات 1885م و1888م، قبل أن يشهد انتشارًا جديدًا في مناطق مثل: بجاية والأوراس سنة 1894م، وفي عام 1908م تمَّ تسجيل 2500 حالة إصابة في قسنطينة و4000 في الأغواط، ليتفاقم الوضع أكثر سنة 1909م، ثمَّ يتراجع تدريجيًا ما بين (1910-1911م).[2]

ب- الطاعون:

هو أحد الأوبئة المعروف منذ القدم "Peste"، ويُعتبر مرضًا بكتيريًا خطيرًا ينتقل عبر البراغيث التي تحمل العدوى من القوارض[3]، وقد وصل هذا المرض إلى الجزائر من الخارج، وتسبب في عدد كبير من الوفيات، من بينها ثلاث حالات من النوع الدملي سُجّلت في سكيكدة أواخر سنة 1899م، وعلى الرغم من تسجيل نسب إصابة منخفضة نسبيًا ما بين 1899م و1904م، في عدّة مدن، إلَّا أنَّ

[1] مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسفي، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م، ص: 107.

[2] قندوز عبد القادر، الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي (1830-1914م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، 2016-2017م، ص ص: 61-62.

[3] رميتة عبد الغني، "الوضع الصحي وآثاره في الجزائر والجنوب الغربي من بداية الاحتلال الفرنسي حتى مطلع القرن 20"، **مجلة دراسات تاريخية**، مج 11، ع 1، المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة، الجزائر، 1445هـ-2023م، ص: 419.

معدل الوفيات بلغ حوالي 50%[1]، ومع أنَّ الطاعون عاد في فترات متفرقة، إلاَّ أنَّ آثاره لم تصل إلى حد الكارثة التي شهدها الجزائريون خلال تفشيه الكبير في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر.[2]

ج- وفيات الأطفال:

شهدت الجزائر بين سنتي 1908م و1912م ارتفاعًا ملحوظًا في معدل وفيات الأطفال، نتيجة ظروف صحية صعبة ومعيشية قاسية، فقد كانت أبرز أسباب الوفات تتمثل في أمراض الإسهال، الجفاف، الالتهابات الصدرية، وحمى المستنقعات.

وقد بلغ معدل وفيات الأطفال في تلك الفترة نحو 52 حالة من كل 1000 مولود، وهو ما يعكس تدهورًا واضحًا في الأوضاع الصحية وغياب الرعاية الطبية الكافية، خاصةً لدى السكان الجزائريين.

د- الهياكل الصحية في الجزائر الاستعمارية:

كانت الهياكل الصحية في الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي محدودة وموجهة للمستوطنين، بينما لا يستفيد الجزائريون إلَّا من خدمات بسيطة، ومن أبرز هذه الهياكل:

- **مستشفى القطار**: أنشئ سنة 1896م بالقرب من مقبرة القطار، هذا المستوصف كان يحتوي على 6 أجنحة بقدرة استيعاب 86 سريرًا، كما ضمّ مصلحة لتنقية القمل والتعقيم.[3]

[1] قندوز عبد القادر، المرجع السابق، ص: 68.

[2] Jean Marchika, La Peste en Afrique Septentrionale "Histoire de la Peste en Algérie de 1363 à 1830", Thése Pour Le Doctorat En Médecine, Jules Carboned, Alger, 1927, P: 185.

[3] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م، ص: 387، ص: 273.

- **مستشفى حجوط:** تأسس بعد انتشار الكوليرا[1] سنة 1849م، وتحول سنة 1880م إلى مؤسسة مدنية، وكان يستخدم لعلاج الجزائريين بأمراض معدية أو خطيرة.

- **ملجأ الحروش:** تمَّ اقامته في المباني العسكرية القديمة في 1872م، واستخدم لاستقبال العجزة القادمين من مستشفى قسنطينة، وأُضيف إليه في سنة 1896م فوج تأديبي للأطفال الذين يعانون من الجوع.

- **معهد باستور بالجزائر:** تأسس في الجزائر سنة 1894م، لعلاج مرض الكلب (السعار) بعد تسجيل حوالي 2000 حالة عضة سنويًا، ويُعد من أهم الإنجازات الطبية في تلك المرحلة.[2]

1-5- التعليم:

بعد الاحتلال، شرعت فرنسا في إنشاء مدارس تُدرّس بالعربية والفرنسية، لكنها كانت موجَّهة إلى فئة محدودة من الجزائريين، بينما ظلَّت الغالبية تعاني من الجهل، فعلى سبيل المثال، بلغ معدل التعليم بين الجزائريين سنة 1882م تلميذًا واحدًا فقط من كل ألف نسمة.[3]

ورغم هذه الظروف، عرف التعليم الأهلي (الذي يُنظَّم خارج سلطة الإدارة الفرنسية) تطورًا ملحوظًا منذ ثمانينات القرن التاسع عشر، حيث ارتفع عدد التلاميذ من 3172 سنة 1882م، إلى أكثر من 11 ألف تلميذ سنة 1890م.[4]

---

[1] الكوليرا: مرض وبائي حاد سريع الانتشار، يتميز بأعراض خطيرة كالتقيؤ المتكرر، المغص، برودة الأطراف، وتغير لون الجلد، ويؤدي إللى الوفاة بشكل جماعي عند انتشاره المفاجئ في البلدان. ينظر: JacquemoudLe, Choléra Préservation -Traitement- Causes Choléra Des Alpes, Imprimerie de Charles Ducreyéditeur, Paris, 1876, PP: 1-2.

[2] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المرجع السابق، ص: 275، ص: 281، ص ص: 288-289.

[3] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص: 47.

[4] جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار دراسات في التاريخ المعاصر، مج 6، د.ط، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009م، ص: 85.

في المقابل، حرصت فرنسا على توفير تعليم كامل للأوروبيين في الجزائر، فأنشأت لهم مدارس ابتدائية وثانويات، بالإضافة إلى معاهد عليا في الطب، والعلوم، والحقوق، والأدب.

كما بدأت منذ سنة 1896م في تنظيم التعليم العالي في فرنسا، وهو ما تُوّج بإنشاء أول جامعة جزائرية[1] سنة 1909م.[2]

وفي سنة 1898م، تمَّ اعتماد نظام تعليمي جديد يتكّون من ثلاث مراحل تمتد على سبع سنوات وهي: الدروس التحضيرية (Préparation)، الدروس التكميلية (Élementaire)، والدروس المتوسطة (Moyens)، وبعدها يتم الحصول على شهادة الدراسات الخاصة.[3]

أمَّا التعليم العربي، فقد تعرض لتضييق كبير من طرف الإدارة الاستعمارية، حيث صدر سنة 1904م قرارًا يمنع منعًا باتًا التعليم بدون رخصة مهما كان شكله.[4]

2- الأوضاع الاقتصادية:

2-1- سياسة الاستيطان:

باشرت فرنسا منذ بداية الجمهورية الثالثة سياسة استيطانية واضحة، بدأت بترحيل سكان منطقتي الألزاس واللورين إلى الجزائر، ومنحتهم أراضي جزائرية أُخذت من السكان الأصليين، حيث صودرت حوالي 340 ألف هكتار[5]، وبين سنتي (1871-1881م)، ارتفع عدد المستوطنين من 246 ألف إلى 376 ألف أي بمعدل 13 ألف سنويًا، رغم أنَّ ثلثهم استقروا فعليًا في الجزائر، بينما

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 3، المرجع السابق، ص: 308.

[2] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير (1830-1962م)، المرجع السابق، ص: 86.

[3] يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 64.

[4] بوضرياسة بوعزة، المرجع السابق، ص: 132.

[5] عبد الله مقلاتي، في جذور الثورة الجزائرية مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى فاتح نوفمبر 1954م، د.ط، شمس الزيبان، الجزائر، 2013م، ص: 155.

عاد الباقون إلى فرنسا[1]، ولعَّل الجدول التالي: يوضح تطور أعداد المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر (1881-1911م):[2]

السنة	فرنسيون	أوروبيون
1881	129.601	215.000
1891	195.418	234.000
1901	449.420	234.000
1911	562.931	359.000

يُظهر الجدول أنَّ عدد الفرنسيين المقيمين في الجزائر شهد ارتفاعًا كبيرًا خلال الفترة من 1881 إلى 1911م، حيث انتقل من حوالي 129 ألف إلى أكثر من 562 ألف، ما يعني أنَّه تضاعف أكثر من أربع مرات خلال ثلاثين سنة.

أمَّا الأوروبيين (غير الفرنسيين)، فقد عرف عددهم زيادة طفيفة بين 1881م و1891م، ثمَّ استقر في حدود 234 ألفًا سنة 1901م، قبل أن يشهد ارتفاعًا كبيرًا سنة 1911م ليبلغ 359 ألفًا.

تعكس هذه الأرقام السياسة الاستيطانية المكثفة التي انتهجتها فرنسا، والرامية إلى تغيير التوازن الديمغرافي في الجزائر لصالح المستوطنين.

هذه السياسة أثرت سلبًا على الجزائريين، إذ فقدوا أراضيهم الخصبة، وتعرضوا للتهميش الاقتصادي، كما فُرضت عليهم ضرائب ثقيلة وتراكمت عليهم الديون، ممَّا منعهم من تحقيق تنمية زراعية مستقلة.[3]

---

[1] أحمد سميح حسن إسماعيل، الاستيطان اليهودي في الجزائر (1919-1962م)، ط 1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009م، ص: 21.

[2] رحيم محياوي، دراسة مستقبلية الاستيطان والتوطين: الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، د.ط، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006م، ص: 19.

[3] Nouschi André, "Enquête sur le Niveau de vie des Populations Rurales Constantinoises de la Conquête Jusqu'en 1919", **Population**, Vol. 18, No. 1, Éditions de L'I.N.E.D, Paris, Janvier - Mars 1963, P: 170.

أ- قانون فارني (Warnier):

كانت السياسة الرئيسية للاستعمار الفرنسي تقوم على الاستيلاء على الأراضي، ويُعدُّ قانون فارني الصادر بتاريخ 26 جويلية 1873م أداة لتحقيق ذلك، إذ أدخل تشريع الأراضي الفرنسية في الجزائر، وجعل جميع الأراضي العشائرية عرضة للتقسيم.[1]

كان الهدف من هذا القانون تشجيع الاستيطان الفرنسي في الجزائر[2]، وفتح الملكية الأهلية للأراضي، التي كانت مغلقة أمام النشاط الاستيطاني، ونشاط رؤوس الأموال الأوروبية.[3]

ب- قانون (1887م):

وهو القانون الذي أخضع أراضي العرش للبيع والتملك الفردي، ووضع نهاية لنظام التملك التقليدي الملائم لوضعية القبيلة، ففتح بذلك الباب لعمليات المضاربة لصالح الأوروبيين حيث سُجّلت مئات عمليات البيع والاستحواذ بين 1885 و1889م.[4]

---

[1] V. Lutsk, Modern History of the Arab Countries, Progress Publishers, Moscow, 1969, P: 274.

[2] محمد بليل، "التشريع الكولونيالي الخاص بإدارة القبائل الجزائرية بالإقليم الوهراني وجنوبه (1830-1873م)"، مداخلة ضمن الملتقى الوطني الخاص: بأعمال الملتقى الوطني حول القطاع الوهراني وإقليمه الجنوبي دراسة في فضاء القبائل والإدارة العسكرية خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1830-1873م)، د.ط، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2023م.

[3] إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 107.

[4] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 29.

ج- قرار الحاكم العام (1893م):

في 31 جانفي 1893م، تمَّ اعتبار أراضي البدو الرحّل "بلا مالك"، وأصبحت تحت سلطة الإدارة الاستعمارية، رغم السماح المؤقت للبدو باستعمالها، كان الهدف من ذلك هو تمهيد الطريق لمزيد من انتزاع الأراضي.[1]

د- قانون (1897م):

استهدف دعم الاستيطان الحر، خصوصًا في مناطق مثل: مستغانم، ما أدى إلى فقدان السكان المحليين لأملاكهم، ممَّا ساهم في نشوء طبقة برجوازية محلية تدعم الإدارة الاستعمارية، وتحويل الفلاحين إلى عمال عند المعمرين.[2]

2-2- قوانين الغابات:

اهتمت الإدارة الفرنسية بالسيطرة على الغابات نظرًا لقيمتها الاقتصادية والاستراتيجية، وأصدرت مجموعة من القوانين، لم يكن هدفها حماية البيئة، بل تقييد السكان المحليين في استغلال هذه الموارد.

أ- قانون (1874م):

صدر أول قانون غابي في الجزائر بتاريخ 17 جويلية 1874م، وقد تضمن عدة إجراءات منها: منح الحق في الصيد في المناطق الجبلية، ومنع الرعي، وفرض عقوبات على من يتسبب في الحرائق، كما نص القانون على تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية.[3]

---

[1] عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي (1830-1960م)، تر: جوزيف عبد الله، ط 1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983م، ص: 108.

[2] محمد بليل، دور التشريعات في التهجير القسري للجزائريين داخليًا وخارجيًا وانعكاساتها عليهم من خلال قانوني الأرض والتجنيد الإجباري (1863-1919م)، مداخلة ضمن الملتقى الوطني الخاص: بأعمال الملتقى الوطني حول النفي والإبعاد في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962م)، ط 1، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، 2021م، ص ص: 32-33.

[3] جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم (1830-1962م)، تر: قندوز عباد فوزية، د.ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2010م، ص: 114.

ب- قانون (1885م):

صدر في 9 ديسمبر 1885م، بحيث ركز على استخدام المراعي لاستصلاح الأراضي، ما أدى إلى تدمير الغابات وتشريد العديد من العائلات، بالإضافة إلى فرض ضرائب ثقيلة.

ج- قانون (1903م):

أكد هذا القانون في 190 بندًا على القوانين السابقة، وأضاف بعض التفاصيل مثل: ضرورة حصول على ترخيص لقطع الأخشاب.[1]

2-3- زراعة الكروم:

في إطار مشروع الاستغلال الزراعي الاستعماري، أصبحت زراعة الكروم نشاطًا رئيسيًا يديره المعمرون، فقد بلغ إنتاجهم من الخمور سنة 1900م حوالي 154.000 هكتولترًا، وارتفع سنة 1914م إلى 181000 هكتولترًا، ممَّا جعل الجزائر تحتل المرتبة الرابعة عالميًا في إنتاج الخمور خلال تلك الفترة.[2]

المبحث الثالث: الأوضاع الدينية والثقافية

شهدت الأوضاع الدينية والثقافية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية صراعًا واضحًا بين الإدارة الاستعمارية والشعب الجزائري، حيث سعت فرنسا إلى طمس الهوية الإسلامية والثقافة الوطنية، في المقابل، تمسّك الجزائريون بدينهم وتقاليدهم، وبرزت حركات إصلاحية وصحفية ساعهمت في إحياء الوعي الديني والثقافي، ومواجهة الاستعمار بأساليب سلمية وهادفة.

1- المساجد:

لعبت المساجد دورًا مهمًا في الحفاظ على الدين والهوية الجزائرية، ورغم محاولات فرنسا للسيطرة عليها، إلَّا أنَّ المسلمين طالبوا بتطبيق قانون 1905م الذي يفصل الدين عن الدولة، حتى

[1] جيلالي صاري، المرجع السابق، ص ص: 115-116.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط 2، المرجع السابق، ص: 42.

يسترجعوا المساجد، لكن السلطات الفرنسية رفضت ذلك، فبادر الجزائريون ببناء "المساجد الحرة" بتمويل ذاتي، هذه الخطوة كانت مهمة في مواجهة الاستعمار من الناحية الدينية.[1]

ساهم علماء مثل عبد الحميد بن باديس[2] في المقاومة الثقافية، حيث استقر في قسنطينة سنة 1913م، ودرس في عدة مساجد، منها: المسجد الكبير، ناشرًا مبادئ الدين واللغة والعلوم بين طلابه.[3]

2- دور الزوايا في الجزائر:

شكلت الزوايا في الجزائر مراكز دينية واجتماعية مهمة، حيث كانت تقدم التعليم، وتحل النزاعات، وتساعد المحتاجين، ومن أشهرها زاوية الهامل، التي أصبحت مركزًا علميًا كبيرًا، حيث بلغ عدد طلابها بين 1883 و1885م حوالي 200 إلى 300 طالب سنويًا، يشرف عليهم 12 شخصًا.

كما ساهمت الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي، وكانت إحدى ركائز المقاومة السلمية ضد الاستعمار الفرنسي[4]، ومع بداية النظام المدني سنة 1870م في شمال الجزائر، باشرت فرنسا بتنفيذ ما سُمّي بـ "السياسة البربرية"، خاصةً في منطقة القبائل، حيث أنشأت مدارس فرنسية وتبشيرية بهدف إبعاد الأطفال عن الزوايا، وقد نجحت إلى حد بعيد في هذه السياسة الهدامة، وكانت قد اشترطت تحفيظ القرآن الكريم في الزوايا دون شرحه.[5]

وفي هذا السياق، أصدرت السلطات الاستعمارية مرسومًا بتاريخ 18 أكتوبر 1892م، يقضي بدمج تعليم الزوايا ضمن المدارس الابتدائية الفرنسية، وهذا ما أخضعها للمراقبة والتفتيش الأكاديمي،

---

[1] أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص: 148-149.

[2] بن باديس: وُلد سنة 1889م بقسنطينة، وتعلّم في جامع الزيتونة. أسّس جريدة "المنتقد" وبرز في النهضة الثقافية والسياسية بالجزائر، مساهمًا في نشر الوعي والدعوة إلى المؤتمر الإسلامي. ينظر: عمّار الطالبي، آثار ابن باديس، مج 1، ط 1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1388هـ-1968م، ص: 72، ص: 76، ص: 82، ص: 88.

[3] عبد الرشيد زرّوقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940م)، ط 1، دار الشهاب، لبنان، 1420هـ-1999م، ص: 167.

[4] عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، د.ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص ص: 84-85.

[5] يوسف مناصرية، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1962م)، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 321.

وكان المرسوم يفرض على كل زاوية أن (تسجل أسماء التلاميذ وعائلاتهم ومحل إقامتهم وتاريخ ميلادهم)، واعتبر معلمي القرآن الذين يأتون من خارج البلدة "أجانب"، ما منعهم من ممارسة النشاط التعليمي داخل الزوايا.[1]

3- الحركة التبشيرية:

حاول الاستعمار الفرنسي التأثير على المجتمع الجزائري من خلال نشر المسيحية والثقافة الفرنسية، وكان النشاط التبشيري من الوسائل التي اعتمد عليها لتحقيق ذلك، وقد ازداد هذا النشاط خاصةً في فترة الحاكم العام "دوغيدون"[2] (De Gueydon)، الذي سعى منذ توليه المنصب إلى الدفاع عن المسيحية، ودعم الكاردينال "لافيجري" (Lavigerie). ففي سنة 1873م، أنشأ هذا الأخير عدَّة مراكز تبشيرية في منطقة القبائل، مثل: مركز بني يني، وتغمونت، وتوريرت عبد الله[3]، بهدف تنصير[4] وفرنسة[5] الجزائريين.

---

[1] لوصيف فوزية، "الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، مج 28، ع 1، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر، 2014م، ص: 14.

[2] دوغيدون: هو لويس - هنري دو غيدون (Louis - Henri De Gueydon)، وُلد في غرانفيل يوم 22 نوفمبر 1809، ينتمي إلى أسرة نبيلة تعود إلى القرن الرابع عشر، كان يشتغل رتبة نائب أميرال، ونال وسام الصليب الأكبر في جوقة الشرف، تقلّد عدة مناصب من بينها منصب مدير في البحرية. ينظر: L.-C. Dominique, Un Gouverneur Général de L'Algérie L'Amiral De Gueydon, Mémoires de la Société Historique Algérienne, No. 11, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1908, P: 5.

[3] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م)، د.ط، منشورات دار دحلب، الجزائر، 2007م، ص: 155، ص: 159.

[4] تنصير: ترادف كلمة تنصير "Mission" أي: إرسالية تنصيرية وتعني اتجاه الكنيسة في الدعوة والعمل المنظم في بلدان كثيرة لتحويل الناس فكريًا وعقائديًا وسلوكيًا إلى النصرانية. ينظر: عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916م)، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص: 99.

[5] فرنسة: هي عبارة عن سياسة تضليل غرضها تشتيت وحدة الأمة الجزائرية، من خلال فرض الثقافة الفرنسية، وإبعاد الجيل عن مبادئه وقيمه، مما يجعله خاضعًا ومذلولًا، لا يحقق التنمية لوطنه. ينظر: خيرة المهدي هجالة، "سياسة الفرنسة في الجزائر (1830-1962م)"، **مجلة الإحياء**، مج 21، ع 29، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة علي لونيسي- البليدة، الجزائر، أكتوبر 2021م، ص: 753.

وقد اقتنع الحاكم العام "دوغيدون" (De Gueydon) بفكرة "لافيجري" (Lavigerie) للقضاء على "التفكير العربي الإسلامي".[1]

لكن رغم هذه المحاولات، لم ينجح التبشير في تغيير قناعات الجزائريين، فقد كتب الأب "شارل ميتان" (Charles Mettain)، مسؤول الآباء البيض[2] سنة 1892م قائلًا: "... إنَّ القبائل بعيدون كل البعد عن مملكة السماء أي المسيحية وهم ليسوا مستعدين للتنصير...". وذكر بعضهم الآخر أنَّ: "... بعد خمسين سنة من استقرار الآباء البيض بهذه المنطقة، أي حوالي 1920م تقريبًا، فإنَّ النتيجة جاءت مخيبة للآمال...". وهو ما يُظهر تمسك الجزائريين القوي بدينهم وهويتهم الإسلامية رغم كل محاولات الاستعمار.[3]

4- زيارة محمد عبده إلى الجزائر:

أظهرت زيارة الشيخ محمد عبده[4] للجزائر سنة 1903م، مدى اهتمام الجزائريين بفكرة الجامعة الإسلامية[5] والإصلاح الديني، فقد التقى خلال زيارته بعدد من المُثقفين الذين أعجبوا بأفكاره ودعموها،

---

[1] صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، د.ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص: 397.

[2] الآباء البيض: هم المبشرون الذين ينتمون للجمعية التبشيرية التي أسسها الكاردينال لافيجري في الجزائر عام 1868، وهي جمعية صغيرة تضم رجال دين علمانيين وهدفهم الأساسي نشر المسيحية في إفريقيا. ينظر: Charles Lavigerie (1825-1892), Notice sur La Société des Missionnaires D'Afrique Dits Péres Blancs, Maison Carrée, Alger, S.D, P: 12, P: 19.

[3] خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص: 161-162.

[4] محمد عبده: تلقى تعليمه في الجامع الأحمدي والأزهر، وتأثر بجمال الدين الأفغاني، شارك في الحركة الإصلاحية وساهم في تجديد الفكر الإسلامي عبر "العروة الوثقى". وبالرغم من مواقفه من الثورة، ظل متمسكًا بالإصلاح التربوي، وتوفي عام 1905م، وظل تأثيره مستمرًا. ينظر: صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1، مركز الحضارة العربية، مصر، 2001م، ص: 64، ص: 66، ص ص: 68-69.

[5] الجامعة الإسلامية: حركة إصلاحية ظهرت في أواخر القرن 19، دعت إلى تضامن المسلمين ووحدتهم لمواجهة التوسع الأوروبي، واعتمدت على الإصلاح الديني والاجتماعي بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف، من أبرز روادها: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ورشيد رضا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 109.

كما لعبت مجلة "المنار" دورًا كبيرًا في نشر تلك الأفكار داخل الأوساط الجزائرية، ممَّا عزز الوعي الديني والثقافي لدى القرَّاء وشجَّع على التفكير الإصلاحي في ظل الظروف الاستعمارية.[1]

5- رموز الحركة الإصلاحية:

ظهر في الجزائر خلال فترة الاستعمار عدد من العلماء والمفكرين الذين قادوا حركة إصلاحية، وركزوا على نشر التعليم ومحاربة الخرافات والعادات السيئة، بهدف تقوية الهوية الدينية والثقافية.

5-1- عبد القادر المجاوي:

يُعد الشيخ عبد القادر المجاوي من أبرز رموز الإصلاح في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وُلد سنة 1848م-1266هـ بتلمسان، تلقى تعليمه على يد الشيخ مولاي محمد العلوي والفقيه الشيخ محمد قنون الرهوني وغيرهم[2]، تولى التدريس بجامع سيدي الكتاني في قسنطينة سنة 1292هـ، وفي المدرسة الثعالبية في الجزائر سنة 1315هـ وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء، منهم: المولود بن الموهوب (المدرس بالمدرسة الكتانية)، والسيد عبد الكريم باش تارزي (مفتي الحنفية بقسنطينة)[3]، كما أَلَّف عدة مؤلفات منها: إرشاد المتعلمين، ونصيحة المريدين، والدرر النحوية وغيرها.[4]

كان له دور بارز في النهضة الإصلاحية، حيث ساهم بكتبه ومحاضراته ونشاطه الصحفي في محاربة الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة، داعيًا إلى الإصلاح الاجتماعي والتعليم واليقظة.[5]

---

[1] مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1349-1358هـ/1931-1939م)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآداب، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1405هـ-1985م، ص: 16.

[2] مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، ج 2، د.ط، منشورات دار قرطبة، الجزائر، 2011م، ص ص: 102-103.

[3] أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، د.ط، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ-1906م، ص ص: 449-450.

[4] مولود عويمر، المرجع السابق، ص: 105.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 148.

5-2- عبد الحليم بن سماية:

عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسين خوجة، وُلد في الجزائر سنة 1866م وتعلّم فيها وفي تونس، من أوائل المصلحين الجزائريين المتأثرين بفكر الإمام محمد عبده، ودرّس بالمدرسة الثعالبية منذ سنة 1896م، وتخرج على يديه عدد من المثقفين ذوي الثقافة المزدوجة[1]، استضاف الشيخ محمد عبده أثناء زيارته للجزائر سنة 1903م، ممَّا جعل بعض الفرنسيين يتهمونه بأنَّه كان على علاقة مع القاهرة وإسطنبول، عُرف بمواقفه المناهضة لجماعة النُخبة، خاصةً في قضية الدين والتجنيد الإجباري، وشارك سنة 1911م في اجتماع علني لمعارضة التجنيد، ونُشرت تفاصيل هذا الحدث في الصحافة العثمانية والتونسية.[2]

تميز بثقافته الواسعة ومكانته العلمية وله عدة مؤلفات منها: "اهتزاز الأطواد والربى" طبعت سنة 1911م، و"الكنز المدفون والسر المكنون"، و"فلسفة الإسلام"، بالإضافة إلى مقالات في الأخلاق والمجتمع، توفي سنة 1933م بعد إصابته بمرض عقلي نتيجة معاناته من الاستعمار.[3]

5-3- محمد المولود بن الموهوب:

كان محمد المولود بن الموهوب بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي من أوائل المصلحين الجزائريين في بداية القرن العشرين، وُلد سنة 1866م بمدينة قسنطينة، وفي سنة 1895م عُين أستاذًا للفقه والعلوم الإسلامية بمدرسة سيدي الكتاني، ثم أُسندت إليه وظيفة الإفتاء في 22 جوان 1908م[4]، اتبع ابن الموهوب النهج الإصلاحي الذي دعا إليه محمد عبده، حيث ركز على إصلاح المجتمع من

[1] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1400هـ-1980م، ص: 178.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 149.

[3] عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص: 178-179.

[4] محمّد بن عمرو الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م، ص: 281.

خلال التربية والتعليم، كان هدفه القضاء على الجهل، ومن بين مواقفه البارزة انتقاده للبدع والخرافات، كما عبَّر عن بعض توجهاته الإصلاحية في كتابه "أدب الطرق".[1]

6- الصحافة الجزائرية أثناء العهد الاستعماري:

خلال فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ظهرت عدّة صحف متنوعة، بعضها كانت تابعة للمستعمر وهدفها نشر الدعاية الفرنسية وتعزيز سيطرتها على البلاد، وبعضها الآخر تحمل توجهًا وطنيًا وإصلاحيًا تسعى للدفاع عن حقوق الجزائريين ونشر الوعي بينهم.

من بين الصحف الاستعمارية التي كانت معروفة في الجزائر، نجد "جريدة النصيحة" التي أسَّسها إدوار غزان سنة 1899م، وكانت تهدف إلى نشر أخبار مضللة تخدم مصالح الاستعمار وتؤثر على عقول المسلمين[2]، كما صدرت صحيفة "الحق الوهراني" باللغة العربية في مدينة وهران بين سنتي 1911 و1912م، وكانت صحيفة سياسية أسبوعية تدافع عن مصالح الجزائريين المسلمين[3]، إضافةً إلى ذلك، ظهرت "مجلة الإحياء" التي أُسست في 14 فيفري 1907م على يد جمانة رياض، وكانت أول مجلة عربية أدبية اجتماعية في تاريخ الصحافة الجزائرية.[4]

في المقابل ظهرت صحف جزائرية إصلاحية ووطنية، حاولت نشر الوعي ومقاومة الاستعمار، وتحفيز الجزائريين على النضال، من بينها صحيفة "الفاروق" التي أسسها الشيخ عمر بن قدور

[1] أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، المطبعة العربية، الجزائر، 2004م، ص: 22، ص: 25.

[2] مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتح: أحمد حمدي، د.ط، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003م، ص ص: 35-37.

[3] عواطف عبد الرحمن، الصّحافة العربيّة في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962م)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص: 31.

[4] مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص ص: 37-41.

الجزائري[1] سنة 1912م، والتي لاقت اهتمامًا واسعًا من الكتاب والمُثقفين، كما أنشأ الأمير خالد[2] سنة 1919م صحيفة "الإقدام" باللغتين العربية والفرنسية، لكنها توقفت بعد نفيه.

وفي المشرق العربي ظهرت جريدة "النهضة العربية" سنة 1906م، على يد محب الدين الخطيب[3]، وساهمت بدورها في تنمية الوعي العربي.

ويمكن القول إنَّ الصحافة الاستعمارية كانت وسيلة لنشر الثقافة الفرنسية ومحاولة طمس الهوية الجزائرية، بينما شكّلت الصحف الوطنية صوتًا مقاومًا ساعد في الحفاظ على الهوية ونشر الوعي بين الجزائريين.[4]

وإلى جانب الصحافة، لعبت الجمعيات والنوادي الثقافية دورًا مهمًا في نشر الوعي الوطني، من بينها: الجمعية التوفيقية التي تأسست في الجزائر العاصمة سنة 1908م، ونادي صالح باي في قسنطينة الذي كان يضم 1700 عضو، والجمعية الراشدية التي أُنشئت سنة 1894م، وانتشرت

[1] عمر بن قدور الجزائري: وُلد سنة 1866م بالجزائر العاصمة، وتعلّم في الكتاتيب والمدرسة الثعالبيّة، ثم واصل دراسته في تونس ومصر كتب في صحف عربية مثل: اللّواء والحاضرة، دعا إلى الوحدة الإسلاميّة ورفض التّجنيد الإجباري، فنُفي خلال الحرب العالميّة الأولى، وعاد سنة 1919م وواصل نشاطهُ الصحفي في جريدة الصّديق. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص ص: 276-280.

[2] الأمير خالد: مؤسس الحركة الإصلاحية، بدأ نشاطاته النضالية الأولى في معارضة الإدماجيين، والثانية في معارضة ويلسون، ودافع عن فكرة المساواة في الحقوق السياسية بين الجزائريين والفرنسيين، وفي 1920م ألقى خطابًا ردد فيه مطالب الجزائريين، بعد نفيه شارك في مؤتمر باريس حول الدفاع عن حقوق الانسان. ينظر: محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830-1962م)، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010م، ص: 36.

[3] مُحب الدين الخطيب: وُلِد في دمشق عام 1886م في أسرة علمية، تأثر بالشيخ طاهر الجزائري، الذي علّمه أهمية التثبت من المعلومات وحب الأمة، بدأ في ترجمة المقالات ونشرها في مجلة "ثمرات الفنون"، حيث كان له دور في تعزيز اللغة العربية في التعليم، وعُرف بتوجهاته القومية في جمعية النهضة العربية. ينظر: محمد عبد الرحمن برج، مُحبّ الدّين الخطيب ودوره في الحركة العربية (1906-1920م)، أعلام العرب، ع 139، د.ط، الهيئة المصرية الهامة للكتاب، مصر، 1990م، ص: 7، ص: 17، ص: 15، ص: 22.

[4] ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص ص: 59-60.

فروعها في مناطق مختلفة، وقد نظَّمت هذه الجمعيات محاضرات ولقاءات ثقافية استهدفت فئة الشباب بشكل خاص، وساهمت في ترسيخ الوعي الوطني وتعزيز الانتماء الثقافي.[1]

[1] إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين 1850 و1919م دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، د.ط، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006م، ص ص: 99-100.

الخلاصة:

يتضح من خلال هذا الفصل أنَّ الاستعمار الفرنسي أثَّر بشكل كبير على مختلف جوانب الحياة في الجزائر ما بين 1870 و1920م، حيث فرض سيطرته على الإدارة وأقصى العنصر الجزائري من المناصب، وطبَّق سياسات تمييزية أثَّرت على التعليم والمجتمع، كما استغل ثروات البلاد لصالح المستوطنين، فيما واجهت الثقافة والدين محاولات طمس منظمة، من خلال نشر الثقافة الفرنسية والتبشير.

ومع ذلك، لم يبقَ المجتمع الجزائري ساكنًا، بل برز دور العلماء والزوايا والصحافة العربية في الحفاظ على الهوية ونشر الوعي، وبدأت تظهر ملامح نُخبة جزائرية متعلمة باللغة الفرنسية، سيكون لها تأثير واضح في الفترة القادمة.

وهكذا، يمكن القول إنَّ هذه المرحلة كانت نقطة تحوّل مهمة، فتحت الطريق أمام تشكل وعي وطني جديد داخل واقع استعماري معقّد، وهذا ما سنتناوله في الفصل التالي.

الفصل الأول: النُخبة الجزائرية المُفرنسة مرجعيتها ومواقفها

المبحث الأول: تعريف النُخبة الجزائرية المُفرنسة وتوجهاتها

المبحث الثاني: أسس النُخبة الجزائرية المفرنسة

المبحث الثالث: موقفها من القضايا الوطنية

المبحث الرابع: موقف فرنسا من النُخبة المُفرنسة

تمهيد:

شهدت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات عميقة شملت الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية، وفي خضم هذا الواقع المتغير برزت نُخب وتيارات سياسية مختلفة التوجهات، من بينها ما يُعرف بالنُخبة الجزائرية المُفرنسة، فقد تقلبت هذه النُخبة بين إرثها الثقافي من جهة، ومتطلبات الواقع الاستعماري من جهة أخرى، كما تأثرت بالسياسات الفرنسية وبالبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها.

وقد اختلفت حولها الآراء والتصورات، إذ يرى البعض أنَّ هذه النُخبة المُفرنسة تُشكل صلة وصل بين العالمين العربي والأوروبي، في حين اتهمها البعض بالتجنيس والانفصال عن الأحوال الشخصية، وبالتالي فإنَّ الحديث عنها يفتح بابًا واسعًا للنقاش حول عدة قضايا ذات أُسس مختلفة.

فهل كانت هذه النُخبة فعلًا أداة إصلاح وتنوير؟ أم أنَّها ساهمت بقصد أو بغير قصد، في دعم المشروع الاستعماري؟

المبحث الأول: تعريف النُخبة الجزائرية المفرنسة وتوجهاتها

قبل دراسة النخبة الجزائرية المفرنسة، من المهم التوقف عند مفهومها، والتعرّف على مطالبها، والتوجهات التي شكّلت مسارها وأدت إلى انقسامات داخلها.

1- من الناحية اللغوية:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "... نَخبَتُه أنخَبه إذًا نزعته، والنخب النزع، والانتخاب الانتزاع، والانتخاب الاختيار، والانتقاء، ومنه النُخبة، وهم الجماعة تُختار من الرجال فتنزع منهم..."، فالنُخبة بهذا المعنى تَدُل على انتقاء مجموعة متميزة من بين مجموعة كبيرة.[1]

وتدُل كلمة "النُخبة" أو "الصفوة" في اللغة العربية معنى الخلاصة، فيُقال: "صفوة الشيء" أي خلاصته وخياره، ويقال: "اصطفاه" أي اختاره[2]، وجاء أيضًا: انتخب الشيء: بمعنى اختاره، والنُخبة: ما اختاره منه، ونُخبة القوم ونخبتهم: أي خيارهم. وقال الأصمعي: يُقال "نُخبة القوم"، بضم النون وفتح الخاء.[3]

وتُعرف في اللغة العربية بـ "الصفوة"[4]، أمَّا في اللغة الفرنسية فتُستخدم كلمة "النُخبة" (Élite) للدلالة على الأفضل أو المختار من المجموع، بينما تعني في اللغة الانجليزية الجماعات الأقوى أو الأغنى، أو الأفراد الموهوبين، أو التنظيمات ذات الأفضلية من حيث النوع.[5]

---

[1] الطاهر عمري، النُخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، د.ط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009م، ص: 11.

[2] أمينة علاق، "نُخبة أم نُخب: قراءة في المفهوم، الأدوار والإشكاليات"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 9، ع 28، جامعة قسنطينة 3، الجزائر، مارس 2017م، ص: 172.

[3] علي أسعد وطفة، في مفهوم النُّخبة: مقاربة بنائية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الإصدرات الخاصة، الكويت، الإصدار الأول ماي 2015م، ص ص: 6-7.

[4] وليدة حدادي، "النُخبة المثقفة وإشكالية المفهوم"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 2، ع 5، جامعة سطيف 2، الجزائر، شوال 1439هـ - جوان 2018م، ص: 278.

[5] بديس بوشامة، "النُخبة والديمقراطية.. قراءة في المفاهيم والأبعاد"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 10، ع 1، جامعة أم البواقي، الجزائر، جوان 2023م، ص: 352.

كما ورد في قاموس "ويبستر" (Webster) أنَّ النُخبة هي: "... المجموعة المنتقاة والتي تُعد بمثابة أفضل عناصر أي مجتمع من المجتمعات..."، وتُستخدم الكلمة للدلالة على المفرد والجمع معًا.

2- من الناحية الاصطلاحية:

تردد مصطلح "النُخبة" في فترة معينة من تاريخ الجزائر، كغيره من المصطلحات الاستعمارية التي احتلت في المقام الأول في نشرات الصحف والاجتماعات والمناقشات اليومية مثل "الإدماج" وما شابه ذلك، ومن هنا فالمصطلح الجديد كان وليد المدرسة الفرنسية التي أرادها الاستعمار أن تكون دعامته الأساسية في فرض سيطرته الكاملة على الجزائر.

وقد أُطلقت عدة تسميات على هذه الفئة، مثل: "النُخبة" (L'élite)، أو "المثقفين" (Intellectuels)، أو "المتطورين" (Évolués)، وهي في معظمها تُشير إلى الجزائريين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية، وتأثروا بالثقافة الأوروبية، وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها، واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها واعتبارها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر.[1]

وفي هذا السياق نجد من بين من أعطوا تعاريف اصطلاحية للنُخبة، أولئك الذين ينتمون إليها، وفي مقدمتهم شريف بن حبيلس، حيث قال: "... إنَّها ثريات الشُبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية، والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصافي ناشري الحضارة الحقيقيين...".[2]

كما يرى بعض الباحثين في علم الاجتماع من التيار الليبرالي، ومن بينهم "تشارلز رايت" (Charles Wright): "... أنَّ النُخبة مجموع الأشخاص الذين يتخذون كل القرارات الهامة التي يمكن اتخاذها... ويحتلون مناصب المسؤوليات العليا في أهم مؤسسات المجتمع... ويقدرون على تحقيق إرادتهم ولو عارضها الآخرون...".[3]

---

[1] عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 251.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 159.

[3] رحمان النُوضة، نقد النُخب (إنتاجها، أنواعها، انتهازيتها، وتقويمها)، د.ط، رحمان النوضة، المغرب، أكتوبر 2015م، ص: 8.

وفي الأدبيات الاجتماعية تُعرف النُخب بأنّها تلك المجموعات التي تتمتع بقدر من النفود يزيد أو ينقص بالوصول إلى الموارد المجتمعية من سلطة وثروة ومواقع اجتماعية مرموقة.[1]

ومن جهة أخرى، يُعد فرحات عباس[2] من أبرز شخصيات الشُبَّان الجزائريين المثقفين، إلى جانب شخصيات أخرى مثل شريف بن حبيلس، وقد أدلى بتصريح للصحافي الفرنسي "لويس برتران" (Louis Bertran) والذي نشر في جريدة "لو فيغارو" (Le Figaro) في عددها الصادر بتاريخ 19 أوت 1926م، وصف فيه الطلبة الجزائريين، وهم من النُخبة الجزائرية الجديدة، بـ "... نصف مثقفين... وشبان راشيقين وماكرين...".[3]

ويُلاحظ أنَّ بداية ظهور هذه النُخبة كانت في مطلع القرن العشرين، بعد أن بلغوا مرحلة النضج الفكري، وساهمت في تشكيله التحولات التي شهدها أواخر القرن التاسع عشر وبداية العقد الأول من القرن العشرين.[4]

ويتفق معظم المؤرخين على أنَّ النُخبة تأخرت في الظهور وكانت قليلة العدد، وقد أشرنا سابقًا إلى أنّ هذه الطبقة بدأت تبرز في أواخر القرن التاسع عشر، ويصف الكاتب الفرنسي "بوسكي" (Bosquet) نشأة هذه الطبقة المُثقفة بأنها كانت "مؤلمة" و"بطيئة"، فأعضاء النُخبة كانوا يعتبرون

---

[1] برهان غليون، في النُخبة والشعب، ط 1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010م، ص: 12.

[2] فرحات عباس: مثقف ومناضل وسياسي جزائري، ولد بالطاهير بجيجل عام 1899م، بدأ نشاطه السياسي في العشرينات من القرن الماضي في فيدرالية المنتخبين المسلمين، وأسَّس الاتحاد الشعبي الجزائري. ينظر: بشير فايد، "فرحات عباس وملامح الدولة الوطنية المنشودة"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج 3، ع 2، جامعة سطيف 2، الجزائر، ديسمبر 2019م، ص: 173.

[3] خالد بوهند، النُخب الجزائرية دراسات تاريخية واجتماعية (1892–1942م)، د.ط، المركز العربي للأبحاث والدراسات التاريخية والسياسية، قطر، 2020م، ص: 186.

[4] رمضان عثماني، الأسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنُخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1919–1954م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د، تخصص تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان، 2019–2020م، ص: 25.

أنفسهم طبقة مُثقفة. كما أشار الكاتب "ألود" (Alaud) إلى أنَّه في سنة 1907م لم يكن في الجزائر أكثر من 450 مثقفًا جزائريًا.

وإضافة إلى ذلك، لم يكن هناك إجماع حول طبيعة النُخبة بين الكُتّاب الفرنسيين، فقد وصفها الكاتب الفرنسي الاشتراكي "جون جوريس" (Jean Jaurés) بأنّهم أُناس ضائعون بين حضارتين: العربية والأوروبية، حيث قال عنهم: "... إنَّنا مزقنا الشُبان بين الحضارتين: سُرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم ولكنّهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلاّ بصعوبة...".

ومن جهة أخرى، قارن الصحفي والكاتب الفرنسي "سرفي" (Servier) النُخبة الجزائرية بجماعة تُركيا الفتاة وجماعة مصر الفتاة.[1]

كما لاحظ "مورال" (Mourral) أنَّه لا توجد نُخبة واحدة في الجزائر بل عدة نُخب، قسَّمها إلى نُخبة غير مُفرنسة ونُخبة مُفرنسة، فالنُخبة غير المُفرنسة تشمل الإقطاعيين والعمال المناضلين، أمَّا النُخبة المُفرنسة فهي التي تَلقت تعليمًا فرنسيًا في المدارس الفرنسية بالجزائر.

وقد رفعت هذه النُخبة المُفرنسة عدة شعارات، منها: الإدماج، التجنيس، المساواة، التسامح، العدالة، والمواطنة الفرنسية، ذلك لأنّ تكوينها كان فرنسيًا خالصًا، وعاشت في قلب المجتمع الفرنسي نتيجة احتكاكها الحتمي بالوسط الأوروبي وعلاقتها الوطيدة به[2]، ويجمع المؤرخون على ارتباط الفكرة الاندماجية في الجزائر بحركة الشُبَّان الجزائريين.

وتعود تسمية الشُبَّان الجزائريين إلى ذلك النموذج من الحركات السياسية التي عرفتها القوميات الحديثة، ولم تكن هذه التسمية الوحيدة، فهُناك من سمَّاهم "بالعمامات الشابة" تمييزًا لهم عن "العمامات القديمة". بينما أطلق عليهم أبو القاسم سعد الله اسم "النُخبة"، وفضّل بعضهم مصطلح "أنتلجانسيا"، والبعض الآخر مصطلح "الليبراليين".[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص ص: 160-161.

[2] عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص ص: 252-253.

[3] عبد الحفيظ بوعبد الله، "الطرح الاندماجي في الجزائر: الجذور والتطور"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 1، ع 2، جامعة سطيف 2، الجزائر، جوان 2013م، ص: 173.

وإلى جانب هذه المصطلحات، رافقت هذه النُخبة تسميات أخرى، مثل: "الشُبَّان الأترك" من طرف المستشرقين المستغربين منهم: "إدمان دوتي" (E. Doutté) و"وليام مرسي" (W. Marçais).[1]

3- مطالب النُخبة الجزائرية ذات الثقافة الفرنسية:

عند مراجعة مطالب هذه الكتلة، فإنّنا نجدها ذهبت بعيدا عن أهداف ومطالب الشعب الجزائري، إذ اقتصرت على ما يلي:

3-1- وضع برنامج خاص لتعليم الجزائريين (اللغة، والحضارة الفرنسية).

3-2- قبول مشروع التجنيس كما هو.

3-3- القبول بقانون التجنيد الإجباري.

3-4- المناداة بالزواج المختلط وتشجيعه.

3-5- المساواة الكاملة مع الفرنسين في الحقوق.

من خلال هذه المطالب، يتَّضح أنَّها كانت تُمثل دورًا كبيرًا في السياسة الفرنسية، ومع ذلك فإنَّ المعمرين لم يقبلوها، وقُوبلت بالرفض المطلق، وقد تَّم اتهام دعاتها بأنَّهم مثل: جماعة "تركيا الفتاة"، ووصل الاتهام إلى الدين الإسلامي بأنَّه سبب تخلُّف المسلمين.[2]

ولم يكن برنامج هذه النُخبة في نظر أبو القاسم سعد الله متطرفًا من حيث المطالب ولا صعبًا في الطبيعة، إذ أنَّ كل ما طالبت به هو تطبيق فرنسا لما جاء في وثائقها بخصوص الجزائر.

وإضافة إلى المطالب السابقة، فقد طالبت النُخبة كذلك بـ: المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، الغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، وبالتمثيل النيابي للجزائريين والمساواة في التعليم والضرائب وفرص العمل.[3]

---

[1] إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 95.

[2] مصطفى هشماوي، جذور نوفمبر 1954م في الجزائر دراسة، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م، ص: 35.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص ص: 162-163.

ومن الأساليب التي تبنتها النُخبة المُفرنسة في طرح مطالبها، كانت الصحافة، ومنها: صحيفة الإسلام، التي كانت تدافع عن جميع المطالب المطروحة من قبل الشُبَّان الجزائريين[1]، كما قامت بتأسيس الجمعيات أبرزها "لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين"، التي ظهرت بتاريخ 26 جوان 1912م، وقدمت مُذكرة تطالب فيها بتخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين.[2]

4- انقسام كتلة النُخبة:

شهد مطلع القرن العشرين عدة تحولات وتطورات ساهمت في بروز خلافات داخل النُخبة الجزائرية، واستمرت وحدة هذه الكتلة إلى غاية سنة 1919م، حيث انفجرت من الداخل إلى قسمين: الاندماجيون والإصلاحيون الوطنيون[3]، بعدما كانت قبل الحرب العالمية الأولى تحت جناح واحد، انقسمت إلى جناحين سياسيين يناديان بأهداف مختلفة على طول المدى.[4]

ومن أسباب هذا الانفصال حسب المؤرخ "أحمد مهساس"[5]، هو قانون 04 فيفري 1919م، الذي يُتيح لفئة من الجزائريين فرصة الحصول على المواطنة الفرنسية الكاملة، بشرط التنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية.[6]

---

[1] محفوظ قداش وجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات (1830-1962م)، تر: أوذاينية خليل، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م، ص: 24.

[2] صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، المرجع السابق، ص: 403.

[3] مصطفى هشماوي، المرجع السابق، ص: 35.

[4] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 352.

[5] أحمد مهساس: وُلد المناضل أحمد مهساس المدعو "السي علي"، في بودواو ببومورداس سنة 1923م، في عائلة متواضعة تمتهن الفلاحة، تلقى تعليمه بمسقط رأسه، وفي سنة 1940م ترك مقاعد الدراسة وهو في مرحلة الثانوية، لينظم بذلك إلى شبيبة حزب الشعب الجزائري في بلكور 1941م، وفي سنة 1947م عُين عضوًا في اللجنة المركزية للحزب، ثمَّ أصبح بعد ذلك قياديًا في المنظمة الخاصة. ينظر: موسم عبد الحفيظ، "الإمداد عبر تونس خلال الثورة الجزائرية (1954-1962م)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 3، ع 5، جامعة تلمسان، الجزائر، 2015م، ص: 191.

[6] خالد بوهند، المرجع السابق، ص: 247.

وقد أدى هذا الشرط إلى انقسام الشُبَّان الجزائريين إلى تيارين: الأول كان يأمل في الاستفادة من التجنس والتمثيل المحتمل في غرفة النواب، والثاني يرفض التنازل عن الوضع الإسلامي، استنادًا إلى الرفض الجماهيري.[1]

4-1- تيار الانفصال أو "الوطنية الدينية":

ارتبط هذا التيار بالأمير خالد وأصدقائه، إذ بدأ هذا الأخير نشاطه السياسي بالانضمام إلى حركة الشُبَّان الجزائريين عام 1913م، وقد سافر إلى فرنسا وألقى محاضرات، ذات هدف واحد وهي دعم التقارب بين الفرنسيين والجزائريين في باريس، ومن بين أبرزها محاضرة بعنوان "نحو التقارب الفرنكو-العربي في الجزائر"، حيث طرح فيها الأفكار التي تبناها الشُبَّان الجزائريون في تلك الفترة، وقد دعا إلى ضرورة توحيد الجهود الفرنسية والجزائرية، لتحقيق فكرة "عظمة فرنسا كـ الوطن الأم"، وإقامة تحالف قائم على مبادئ الحرية، الإخاء والمساواة.

تتميز حركة الأمير خالد بطابعها السياسي الوطني، إلى جانب ذلك خلفيته العسكرية الفرنسية وثقافته الأوروبية التي جعلته ينتمي إلى صفوف النُخبة وليس إلى كتلة المحافظين، وفي تصريحه في الجريدة الإيطالية (لانزيون) بتاريخ 10 جوان 1922م أشار الأمير خالد أنَّه لم يكن زعيمًا دينيًا حيث قال: "... إنَّ حركتنا ليست دينية، ولكنَّها بالقوة حركة سياسية لأنَّ القضية هي قضية استقلال جميع الأقطار الإسلامية...".[2]

وبعد زيارة "ميليران"[3] (Millerand) رئيس الجمهورية الفرنسية، إلى الجزائر في ماي 1922م، نشرت جريدة الإقدام في أوت من نفس السنة، خطابًا للأمير خالد بعنوان: "مطالبنا المشروعة"، وقد

[1] خالد بوهند، المرجع السابق، ص: 247.

[2] نفسه: ص: 248.

[3] ميليران: هو ألكسندر ميليران محامٍ وصحفي وسياسي فرنسي، بدأ حياته في صفوف التيار الاشتراكي، حيث دافع عن قضايا العمال وشارك في الحركات الاجتماعية، ثم انتقل تدريجيًا إلى المواقف الإصلاحية المعتدلة، شغل عدة مناصب حكومية، منها وزير التجارة ووزير الحرب، ثم أصبح رئيسًا للجمهورية الفرنسية من 1920 إلى 1924م، عُرف بمواقفه البراغماتية، وسعيه لتحقيق العدالة الاجتماعية عبر وسائل سلمية ودستورية، بعيدًا عن الثورات أو العنف. ينظر: Raoul Persil, Alexandre Milerand (1859-1943), Édition Sefi, Paris, 1949, PP: 11-17.

تضمن مجموعة من المطالب وهي كالآتي: التمثيل الجزائري في البرلمان مقابل التضحيات التي قدمها الجزائريون خلال الحرب العالمية الأولى، المساواة بين الأوروبيين والجزائريين في مختلف المجالس البرلمانية، إلغاء قانون الإنديجانا (قانون الأهالي) والمحاكم الخاصة[1]، رفع الرقابة ونشر التعليم وإصلاح الزراعة، وفك العزلة عن المناطق النائية عن طريق شق الطرقات والسكك الحديدية.

تمَّ الترحيب ببرنامج الأمير خالد من قبل مختلف الطبقات الجزائرية ممَّا أدى بالسلطات الفرنسية بالشعور بالقلق من نشاطه وإصراره على التعويض، فأقدمت على قرار النفي سنة 1923م من الجزائر، ولكن هذا الأمر لم يجد نفعًا أمام إرادة الأمير خالد، فبعد وصول اليساريين إلى السلطة بفرنسا، سمحت له بدخول الأراضي الفرنسية وهناك أشرف على تأسيس لجنة أبناء شمال إفريقيا.[2]

4-2- تيار الاندماج:

مع مطلع القرن العشرين ظهرت مجموعة تنتمي إلى فئة الاندماجيين، بحيث أنَّ معظمهم لم يكونوا في نفس مستوى تطرفهم، أو جهلهم، أو تنكرهم لماضيهم، فمنهم المتجنسين مثل: "أحمد بن التهامي"[3]، ومنهم الداعون إلى الاندماج التدريجي مثل: "إسماعيل حامد"[4] و"الطيب مرسلي".[5]

---

[1] خالد بوهند، المرجع السابق، ص ص: 248-249، ص: 251.

[2] نفسه، ص ص: 251-253.

[3] أحمد بن التهامي: المعروف أيضًا باسم "ابن التهامي" أو"بن التامي"، هو طبيب وصحافي وسياسي جزائري، وُلد في مدينة مستغانم. التحق بمدرسة الطب في الجزائر العاصمة عام 1897م، وتخرج من جامعة مونبلييه بفرنسا. انخرط في الحياة السياسية، وكان من أبرز وجوه النُخبة الجزائرية المتأثرة بالثقافة الفرنسية، وبرز كزعيم لجماعة من المثقفين الذين دعوا إلى الاندماج مع فرنسا. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 85.

[4] إسماعيل حامد: أستاذ اللغة العربية والبربرية، ومترجم، كلّف بمهمة ضمن البعثات العلمية الاستخباراتية في البلدان الإسلامية. ينظر: عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، ج 1، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص: 65.

[5] الطيب مرسلي: طبيب جزائري من وهران، أبوه كان ضابطًا في فرسان الصبايحية بالجيش الفرنسي، وكان أولاد هؤلاء الفرسان مبجلين بالدخول للمدارس الفرنسية، ومنها مدرسة الطب، ويُقال أنَّ الطبيب مرسلي كان أول طبيب مسلم تخرج منها، وشارك مع الأعيان في قسنطينة نشاطاتهم وعرائضهم. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص: 231.

ومنهم المعتدلون مثل: "ابن جلول"[1] و"فرحات عباس"[2]، الذين تبنَّو مواقف وسطية لا تميل كليًا إلى الاندماج.

أ-التيار الاندماجي الكامل:

دعت هذه الفئة من المُثقفين إلى الاندماج التَّام في فرنسا ثقافيًا وحضاريًا، بل وحتى دينيًا إن أمكن ذلك، وعملوا من أجل القضاء على كل ما يعرقل هذا الاندماج، وعلى رأسها العقيدة الإسلامية التي يرون فيها أنَّها "... تلعب دورًا أساسيًا في عرقلة عملية الفرنسة في الجزائر...".

ومن أبرز أعضائها رابح زناتي[3]، الذي أسس جريدة "صوت المستضعفين" (Voix des Humbles) عام 1922م، وكان شعارها "بعيدون عن الأحزاب بعيدون عن العقائد من أجل ترقية الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية"، وقد أدار هذه الجريدة سعيد الفاسي[4] منذ عام 1928م حتى اختفائها عام 1939م، إلى جانب ذلك أنشأ مؤسسها جريدة "صوت الأهالي" (Voix des Indigenes) عام 1929م، وقد استمرت لمدة عامين، وكانت تحمل شعار: "جريدة الاتحاد الفرنسي الإسلامي".[5]

---

[1] ابن جلول: وُلد في منطقة الأوراس عام 1894م، في منطقة الشرق الجزائري، وأتم تعليمه الثانوي في قسنطينة، وكان يحصل باستمرار على منح دراسية، بعدما درس في جامعة الجزائر وهناك نال الدكتورة في الطب عام 1924م. ينظر: صفصاف هواري وصافر فتيحة، "الدكتور محمد الصالح بن جلول ونضاله السياسي داخل النُخبة الاندماجية مابين (1930-1956م)"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج 13، ع 2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2021م، ص: 206.

[2] سناء نويجي، دور المثقفين الجزائريين في الثورة التحريرية (1954-1962م) "أحمد طالب الإبراهيمي - محمد حربي" أنموذجًا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث L.M.D في التاريخ، تخصص تاريخ معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، 2018-2019م، ص ص: 39-40.

[3] رابح زناتي: من كبار دعاة الإدماج والمتحمسين له، معلم اللغة الفرنسية، وصحفي بارز في الدفاع عن سياسة الاندماج وهو نفسه من المتجنسين. ينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 67.

[4] سعيد الفاسي: معلم اللغة الفرنسية، وصحفي، وناشط في الحزب الاشتراكي الفرنسي، وكاتب، يُعدّ من أبرز المتحمسين لفكرة الاندماج التام مع الفرنسيين. ينظر: نفسه، ص: 67.

[5] رابح لونيسي، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط 2، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012م، ص ص: 93-94.

ومن بين القضايا التي تناولتها جريدة "صوت المستضعفين" قضية تعليم المرأة الجزائرية، بحيث سلَّطت الضوء على التحديات أو العراقيل الاجتماعية التي كانت سبب في انعدام انتشار التعليم بين الفتيات، مؤكدةً: "... أنَّ جهل المرأة يشكل عائقًا كبيرًا يحول دون تطور الأهالي..."، وأشارت من جهة أخرى أنَّ التعليم في تلك الفترة كان يقتصر على الذكور ممَّا أدى إلى اختلال في استقرار الأسر: "... إنَّ حقيقةً أنَّ الفتيان يحصلون على التعليم بينما تحرم الفتيات منه، يحدث اضطرابًا ملحوظًا داخل مجتمع الأهالي...".[1]

وتمثل الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الجريدة (صوت المستضعفين)، المتخرجين من "مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة" (École Normal de Bouzaréah)، اشتغلو كمدرسين للمدارس الابتدائية، وقد برزوا خلال العشرينات وازداد نشاطهم خلال الثلاثينات كأحد أطياف التيار الاندماجي الجزائري.[2]

ب- التيار الاندماجي النسبي أو "الجزئي":

يُعد هذا التيار تيارًا ليبراليًا، ويتقاسم المبادئ مع التيار الاندماجي الكامل، إلاَّ أنَّ الشيء الذي يميزه عن التيار الانفصالي التابع للأمير خالد وحتى عن التيار الاندماجي الكامل، هو أنَّ عناصره حاولت التوفيق بين هذا وذاك، أي المواطنة الفرنسية، ومن ثمَّ المساواة، لكن دون الابتعاد عن الإطار الإسلامي.[3]

وينتمي أغلب أعضائها إلى فئة المُنتخبين أو المُترشحين في المجالس المالية، الإقليمية، والبلدية[4]، كما أنَّ معظمهم كانوا ينتمون إلى فيدرالية المُنتخبين المُسلمين الجزائريين، التي تأسست على يد الدكتور بلقاسم بن التهامي سنة 1927م، والتي عقدت أول مؤتمر لها بالجزائر (العاصمة) في شهر سبتمبر من نفس السنة، وقد تبنى هذا التجمع مجموعة من المطالب من بينها: تمثيل الجزائريين

[1] La Voix des Humbles, "Pour L'Évolution des Indigènes par la Culture Française", No. 162, 14e Année, Paris, Novembre 1935, PP: 215-217.

[2] عايدة حباطي، "جذور العمل النقابي في الصحافة الاندماجية جريدة صوت المستضعفين أنموذجًا"، **مجلة المعيار**، مج 27، ع 2، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر، 2023م، ص: 41.

[3] خالد بوهند، المرجع السابق، ص: 260.

[4] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص: 97.

في البرلمان الفرنسي، المساواة في المعاملة والتعويض المهني بين الأوروبين والجزائريين، إزالة القيود المفروضة على هجرة الجزائريين إلى فرنسا، إلغاء قانون الأهالي، تطوير التعليم العام والمهني، وتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية على السكان الجزائريين.[1]

وبالنسبة إلى العناصر التي شملها هذا التيار إلى جانب ابن التهامي، نجد متفرنسين آخرين أمثال: فرحات عباس، والدكتور ابن جلول، الذين لعبا دورًا فعالًا خلال الثلاثينات[2]، وقد سعى هؤلاء إلى التوفيق بين الإسلام والنموذج الحضاري الفرنسي، أو كما قال فرحات عباس: "... خلق وفاق شرعي بين الإسلام وفرنسا..."، أو بينما يسميه بـ "... وطننا الروحي (الإسلام)، ووطنا الفكري أي (فرنسا)...".[3]

ويُلاحظ أنَّ برنامج النُخبة لسنة 1927م ركَّز على الإصلاحات السياسية، العسكرية، الاجتماعية، والثقافية، في إطار تحقيق المساواة، مع الالتزام بالقوانين السارية آنذاك، ورغم انضمام عناصر جديدة إلى صفوفها، فإنَّ البرنامج لم يخرج عن الإطار التقليدي الذي سلكه من سبقهم من النُخبة.[4]

المبحث الثاني: أسس النُخبة الجزائرية المُفرنسة

كان للنُخبة الجزائرية ذات الثقافة الفرنسية دور هام في الساحة السياسية، حيث شكَّلت حلقة وصل بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية، وساهمت في العديد من المجالات، ممَّا أتاح لها إبراز أفكارها ومبادئها. وفي هذا المبحث، سيتم التطرق إلى العوامل التي ساهمت بشكل رئيسي في نشأة هذه النُخبة.

[1] خالد بوهند، المرجع السابق، ص: 260.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 353.

[3] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص: 96.

[4] يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919-1939م)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص: 14.

1- المرجعية الاجتماعية والسياسية: نلمسها من خلال:

1-1- الانتماء الاجتماعي:

تباينت الآراء حول الأصول الاجتماعية للنُخبة الجزائرية المُفرنسة، فبينما يرى بعض الباحثين أنَّ هذه النُخبة تنحدر من أصول اجتماعية بسيطة الحال.

فهولاء المثقفون الفرنسيون اللسان ينحدرون من النُخب الجزائرية التقليدية، والعمائم القديمة، أو من العائلات الكبيرة (الخيام الكبيرة)، وأغلبيتهم من أبناء العامة والفقراء، حتى طلبة الجامعات في فرنسا، ويؤكد هذا الرأي بعض الكُتَّاب الفرنسيين منهم "شارل روبير أجرون" (Charles Robert Agéran)، و"غي برفيليي" (Guy Pervillé).[1]

في المقابل، يرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله أنَّ هذه الفئة التي توصف تارةً بالنُخبة وأحيانًا أخرى بالشباب المُثقف، تنحدر في غالبيتها من الأسر ميسورة الحال مع وجود نسبة قليلة منهم من أصول فقيرة، غير أنَّ شريف بن حبيلس يرفض هذا الطرح مؤكدًا أنَّ أصولها تنتمي إلى طبقة الفلاحين البسطاء ويصرح أنَّه هو نفسه ينحدر من عائلة "الأهالي".[2]

كما ورد في مجلة "الشاب الجزائري" في عدد مارس 1953م: "... ما زلنا نقول ونُؤكد بأنَّ الطالب الجزائري برجوازي صغير..."، وهو ما يعكس الشعور العام السائد آنذاك، ورغم محاولة تصحيح مدلول عبارة "برجوازي" لما تحمله من دلالة اجتماعية خاصة، فإنَّ شيئًا من الاستهجان بقي ملازمًا لها، ولذلك يصر كاتب المقال على رفضها، قائلًا: "... أمَّا فيما يتعلق بالطلبة المسلمين في هذه الجامعة، فكلهم تقريبًا من أصول شعبية ما عدا بعض أبناء الخيام الكبيرة...".[3]

---

[1] خالد بوهند، المرجع السابق، ص: 190.

[2] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 256.

[3] غي برفيليي، النُخبة الجزائرية الفرانكفونية (1880-1962م)، تر: حاج مسعود وآخرون، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص ص: 54-55.

وفي السياق نفسه، جاء في تصريح لفرحات عباس: "... إنَّنا أغلبنا ننحدر من أصل فقير، نحن أبناء الدواوير، ننتسب إلى العائلات المتواضعة، صرنا بعد ذلك حاصلين على البكالوريا لا ندري كيف صار ذلك ممكنًا...".[1]

ويرى الجمعي خمري: "... أنَّه وتاريخيًا غالبية الشُبَّان الجزائريين ينحدرون من عائلات جديدة إحتلت مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري المسلم، وذلك أنَّ الفرنسيين وبعد القضاء على عائلتهم الضاربة بجذورها في أعماق تاريخ المجتمع الجزائري (الخيام الكبيرة) استخلفتها عائلات قيادية جديدة لتلعب أكثر من دور على المستوى المحلي...".[2]

إلى جانب ذلك قد أوضحت بعض الدراسات أنَّ ما بين عام 1900م إلى 1930م كان أكثر من 58% من الشُبَّان الجزائريين ينتمون إلى البُرجوازية العليا أو الأرستقراطية، فيما كان 41% منهم من ملاك الأراضي والعقارات، في حين البقية منها يشكلون الطبقة الوسطى.[3]

1-2- المرجعية السياسية:

تعتبر السياسة التعليمية الفرنسية من أبرز العوامل التي ساهمت في نشأة النُخبة الجزائرية المُفرنسة، حيث سعت السلطات الاستعمارية من خلالها إلى تكوين فئة مُثقفة تحمل أفكارًا أوروبية وتتبنى النموذج الفرنسي.

وفي هذا السياق أشار الباحث "موريل" (Mariel) إلى دور المدرسة الفرنسية في تشكيل هذه النُخبة إذ قال: "... تُساهم المدرسة في تكوين النُخبة من حيث أنَّها تقود كل واحد من تلاميذها إلى

---

[1] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 256.

[2] لهلالي سلوى، "ظهور النُخبة الجزائرية ومرجعياتها"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 1، ع 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، جانفي 2013م، ص: 81.

[3] البشير منصور، النُخبة الجزائرية الفرانكوفونية "الشريف بن حبليس أنموذجًا (1891-1959م)"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، 2017-2018م، ص ص: 17-18.

اكتشاف مواهبه الخاصة وتدفع الأفضل من بين هؤلاء إلى فرض وجوده والانخراط في مختلف الميادين الهامة...".

ويُميز "موريل" (Mariel) بين فئتين من المتعلمين الجزائريين: فئة استفادت من التعليم الفرنسي بكونه ساعدها على تحسين ظروفها المعيشية والمهنية. وفئة أخرى اعتبرها "نُخبة النُخبة"، وهي تلك التي تابعت تعليمها الثانوي أو العالي، وكانت تعاني أزمة ضمير حقيقية بين طموحاتها الذاتية من جهة، وواقعها الاجتماعي والثقافي الجزائري من جهة أخرى، وقد دفعتها هذه الأزمة في كثير من الأحيان إلى الانخراط في العمل السياسي.[1]

وبهذا الخصوص، فإنَّ الهدف الأساسي من السياسة التعليمية الفرنسية كان يتمثل في تكوين فئة جزائرية تتبنى الفكر والمظهر الأوروبي وتُساهم في نشر الثقافة الفرنسية داخل المجتمع الجزائري. فقد كان دور المدرسة الفرنسية حاسمًا في تكوين فئة من "المتمدرسين" تلقَّت تربية فرنسية خالصة، في بيئة منفصلة عن واقعها الاجتماعي والثقافي، فلم تنل من ثقافتها العربية الإسلامية إلَّا القليل، ممَّا جعلها غير قادرة على التمييز بين ثقافتها وثقافة المستعمر.

وقد لعبت المدرسة الكولونيالية دورًا محوريًا في تشكيل نُخبة مُثقفة التي سوف يلقى على عاتقها تحمل مسؤولية نشر الثقافة الفرنسية، وذلك بغرض تسهيل عملية الإدماج والاحتواء داخل المنظومة الفرنسية، وكان الهدف من ذلك هو إقناع الأهالي بأنَّ مستقبل الجزائر يكمن في الاندماج بالحضارة الفرنسية، التي قدمت نفسها كمنقذة من التخلف والتأخر والجهل. وقد مثَّل هذا التيار جيلًا من الشُبان من أمثال: أحمد بن بريهمات[2]، رابح زناتي، سعيد الفاسي، شريف بن حبيلس، وصالح بن جلول، الذين آمنوا بفرنسا وبقيم الثورة الفرنسية لسنة 1798م، المتمثلة في: الحرية، المساوة، والأخوة.[3]

---

[1] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 23.

[2] أحمد بن بريهمات: شغل منصب نائب بلدي، وقبل ذلك كان نائبًا عماليًا، كما عمل ترجمانًا عسكريًا، وله إسهامات بارزة في المجالات السياسية والثقافية. ينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 65.

[3] فتيحة صافر، "مواقف النُخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الاندماجية"، **عصور الجديدة**، مج 5، ع 16-17، جامعة وهران، الجزائر، 1436هـ/2014-2015م، ص: 333.

ولضمان استمرارية أداء هؤلاء "الوسطاء" لواجبهم الاستعماري، كان من الضروري حسب الرأي الأوروبي أن تكون: "... الدراسات قوية بهدف محاربة الأعداء الذين يعترضونها فيما بعد، ويجب أن نُركز كل الجهود لجعل هؤلاء السكان مُشابهين لنا، متحمسين لحضارتنا، أو على الأقل لجعلهم يرغبون في التقرب إلينا شعورًا وفكرًا...".[1]

ويُعتبر فرحات عباس نموذج حيًا للنُخبة التي انخرطت في العمل السياسي، حيث يروي في كتابه "الشاب الجزائري" كيف ساهمت المدرسة الفرنسية في تشكيل وعيه وسلوكه، معبرًا بقوله: "... حين كنت أبلغ من العمر إثني عشر سنة كنت أعدو في الحقل حافي القدمين، دون أن أعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية، لا فرق في ذلك بيني وبين راعي الماشية في قريتنا... واليوم، بفضل المدرسة الفرنسية، صرت قادرًا على بناء أُسرة وتربية أولادي، كما صرت قادرًا على أن أعيش وأموت من أجل وطني...".[2]

1-3- المرجعية الثقافية والفكرية:

تأثَّر المُثقفون المسلمون بأساتذتهم الفرنسيين، فاكتسبوا جرأة التفكير وحرية إعمال النظر في الشؤون العامة، وقد اعترافوا طواعيةً بما حققته فرنسا من إنجازات إيجابية، وفي الوقت نفسه عبروا عن أسفهم إزاء النقائص القائمة.

ونظرًا لكونهم يرون في فرنسا نموذجًا مثاليًا، فإنَّهم لم يتقبلوا أن يلبس شخص عادي عباءة العظمة المنسوبة لفرنسا، بل كانوا يواجهون ذلك باسم القيم الفرنسية نفسها[3]، ولا غرابةً في ذلك، فكما يُوضح الأستاذ سليمان الشيخ، فإنَّ ممثلي هذا الاتجاه هم: "... النُخب التي أنشأتها المدرسة الفرنسية ولذلك فإنَّ التشبه بالمستعمر وتمثل قيمه الثقافية والحضارية كان السبيل الوحيد لضمان رُقيهم

[1] عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 259.

[2] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 124.

[3] غي برفيليي، المرجع السابق، ص: 124.

الاجتماعي الفردي، كما كان الطريق الوحيد المتاح عمليًا لتحرير أنفسهم من الهيمنة الأقلية الأوروبية...".[1]

وقد أدى هذا المسار إلى نشأة نُخبة غير قادرة على التمييز بين ثقافتها الأصلية وثقافة المستعمر، بل بلغ بها الحال أن آمنت إيمانًا أعمى بأنَّ الثقافة لا تتجلى إلَّا في النموذج الفرنسي وحده.[2]

ومن هذا المنطلق، مالت هذه النُخبة نحو المجتمع الفرنسي "المُتحضّر"، وابتعدت عن مجتمعها الأصلي الذي اعتبرته متخلفًا[3]، ومن جهة أخرى يتضح أنَّ هذه النُخبة قد تأثرت بدرجة ما بأفكار النُخبة التُركية، ويُستدل على ذلك بما صرَّح به فرحات عباس، حيث يقول: "... لكن حركة الشباب لم تزد إلَّا قوة واتساعًا. إنَّ النقط الأربع عشر للرئيس ولسن... وبروز تركيا الفتاة... وإنشاء حزب الدستور في تركيا... كل هذه الحوادث كانت مواضيع الأحاديث في أوساطنا وساهمت في ترقية مستوى شعبنا السياسي...".[4]

لقد سعت النُخبة ذات الثقافة الفرنسية إلى إثبات وجودها في الساحة السياسية، وظهر ذلك من خلال طرح أفكارها في المجتمع الجزائري، ومع ذلك، وجدت نفسها في حالة من التردد، تجذبها حبال الانتماء بين فرنسا والجزائر.

المبحث الثالث: موقفها من القضايا الوطنية

تُعتبر القضايا الوطنية في الجزائر محطة هامة واجهتها النُخبة الجزائرية المُفَّرنسة، حيث تبنَّت مواقف متعددة لتحقيق أهداف ذات أبعاد مختلفة.

---

[1] نيكولاي دياكوف، حركة الفتيان الجزائريين في مطلع القرن العشرين، تر: عبد العزيز بوباكير، مر: مصطفى ماضي، تق: أحسن بشاني، د.ط، منشورات آمدوكال، الجزائر، 2015م، ص: 19.

[2] عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 253.

[3] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 150.

[4] لهلالي سلوى، المرجع السابق، ص: 86.

1- موقف النُخبة المُفرنسة من فرض التجنيد الإجباري:

شكَّل قانون 3 فيفري 1912م، الذي أوجب على الجزائريين أداء الخدمة العسكرية، نقطة تحول في علاقة فرنسا بسكان مستعمراتها، إذ أثار جدلًا واسعًا داخل المجتمع الجزائري، وبرز موقف خاص للنُخبة الجزائرية المُفرنسة تجاه هذا القانون[1]، تجلى ذلك من خلال قراءة الجرائد، وبناءً على ذلك قامت السلطات الفرنسية بتنفيذ القرار بثقة كبيرة.

ولكن بعد فترة، بدأ هؤلاء الشُبَّان يحاولون استغلال الفرص للحصول على التعويضات والحقوق السياسية، وعلى رأسها الحصول على الجنسية الفرنسية مع المحافظة على القانون الأساسي المتمثل في الأحوال الشخصية.[2]

وبناءً على موقف الأمير خالد عام 1919م، يؤكد أنَّ الشباب الجزائري كانوا يسعون إلى أخذ بعض الحقوق مقابل مشاركتهم في الحرب، حيث صرَّح: "... إنَّ مئات الجزائريين ماتوا من أجل الوطن بقي دائمًا يعتبرهم رعايا، ومن أجل حقوق لم ينالوا منها شيئًا حتى بعد انتصار فرنسا..."، وفي المقابل، لم يتردد بعض الشباب في إعلان ولائهم التام لفرنسا، كما يتضح في تصريح الحاج عمار: "... نحنُ نحمل السلاح للدفاع عن الحق وعن بلدنا المهدد فرنسا (...) يا مسلمي الجزائر يجب أن نحمل السلاح رفقة إخواننا الفرنسيين ونحارب من أجل العدالة والحرية...".[3]

وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى أنَّ الجزائر عاشت موجة من التوتر والاضطراب العام خلال الفترة الممتدة (1907-1912م)، نتيجة التخطيط الفرنسي ومحاولتهم تطبيق قانون التجنيد الإجباري

---

[1] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 148.

[2] حميد أيت حبوش، "قانون التجنيد الإجباري 1912م دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه"، **مجلة الحوار المتوسطي**، مج 9، ع 2، جامعة وهران 1، الجزائر، سبتمبر 2018م، ص: 279.

[3] سعودي أحمد، "النُخبة الاندماجية في الجزائر ومسألة التجنيد الإجباري (1912-1918م)، وهم الفرنسة، وفشل التحديث"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 2، ع 4، جامعة عمار ثليجي- الأغواط، الجزائر، رجب 1439هـ - مارس 2018م، ص: 104.

على الجزائريين لأول مرة، وهو مادفع النُخبة إلى تقديم بيانًا إلى الحكومة الفرنسية في باريس[1]، عُرف باسم "بيان الشباب الجزائري" (Manifeste de Jeune Algérien) وقد تمَّ تقديمه كعريضة للبرلمان الفرنسي بتاريخ جويلية 1912م[2]، ومن محتواه: "... إنَّ أعضاء الوفد، يوحي من عدد ضخم من العرائض التي كتبت في جميع أنحاء الجزائر، وباقتناع منهم بأنَّ جميع أبناء فرنسا يجب أن يستجيبوا دائمًا، يعلنون أنَّ أهالي الجزائر مستعدون للقيام بكل واجباتهم، كأبناء مخلصين، نحو أم الوطن...".[3]

ومن بين مطالبهم: تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين مثل الفرنسيين، أن يكون الاستدعاء للجندية في سن العشرين بدلًا من الثامن عشر، وحذف المنحة التي تُعطى للجندي، اعتقادًا منهم بأنَّ عائلاتهم ستكون أكثر سرورًا عندما تشعر بأنَّ أبنائها يؤدون واجبهم في الجيش الفرنسي دون مقابل جارح.[4]

أمَّا في المُقابل، فقد طالبوا بتعويضات متمثلة في: تغيير الإجراءات القمعية، والمطالبة بالتمثيل النيابي في المجالس الجزائرية والفرنسية، وتطبيق الضرائب وتوزيعها بشكل عادل، وتوزيع الميزانية بشكل متساوي.[5]

2- موقف النُخبة الجزائرية من قانون التجنيس:

في هذه المرحلة أصبح من الواضح أنَّ قضية التجنيس لها علاقة وثيقة بالقانون الأساسي للأحوال الشخصية الإسلامية، ممَّا أدى بهذه القضية أنَّها أصبحت موضوع حساس داخل المجتمع

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 426.

[2] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936م)، ج 1، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص: 38.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 426.

[4] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص: 38.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 427.

الجزائري بشكل عام، وخاصةً بالنسبة للنُخبة الجزائرية المُفرنسة، ذلك أنَّ الموضوع مرتبط أساسًا بالإسلام، ولذلك أصبحت محل جدل بين أوساط النُخبة القابلة والرافضة للتجنيس.[1]

بموجب مرسوم السيناتوس كونسلت الصادر سنة 1865م، اعتُبر المُسلم الجزائري مواطنًا فرنسيًا حقيقيًا يتمتع بجميع الحقوق الفرنسية، بشرط التنازل عن أحكام الشريعة الإسلامية. واستمر العمل بهذا القرار حتى عام 1947م، ورغم التعديلات التي أدخلت عليه في سنتي 1919م و1944م، فإنَّ قانون 04 فيفري 1919م لم يخفف في الواقع من الوضع القانوني للمسلمين الجزائريين إلَّا في بعض الإجراءات التطبيقية، ممَّا وضع العديد من المُثقفين في موقف صعب، إذ نجد الكثير منهم قد تشبعوا بالثقافة الغربية، وكانوا يرغبون في التجنس الذي يمنحهم الحقوق والامتيازات.[2]

وإلى جانب ذلك اعتبر التجنيس في تلك المرحلة خروجًا عن الدين الإسلامي، حيث صرح شريف بن حبيلس قائلًا: "... ستجدون بلا عسر مفتين يُقرون أنَّ التجنيس خروج عن الدين..."، وهو ما وضع النُخبة في ورطة كبيرة.[3]

ومن جهة أخرى، قدم اسماعيل حامد مقترحًا بخصوص مسألة تجنس الأهالي بحيث يكون على مستويين: المستوى الأول أن يحتفظ الأهلي بقانون أحواله الشخصية الإسلامية، ويصبح ناخبًا، دون أن يكون مؤهلًا لتولي المناصب العليا أو الترقية في الوظائف السامية، أمَّا المستوى الثاني بأن يتمتع الأهلي(الجزائري) بكامل حقوق المواطن الفرنسي، مقابل تخليه عن قانون الأحوال الشخصية، وبموجب ذلك يصبح ناخبًا ويحق له الترشح والترقي في الوظائف السامية داخل الإدارة الفرنسية.[4]

---

[1] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 148.

[2] بن حسين كريمة، "المُتجنسون: مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج أ، ع 30، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2008م، ص: 128.

[3] شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون، د.ط، دار المسك للنشر، الجزائر، 2012م، ص: 145.

[4] سحولي بشير، "مسألة التجنس من منظور النُخبة الجزائرية المُفرنسة (1900-1939م)"، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، مج 18، ع 1، جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس، الجزائر، أوت 2022م، ص: 481.

وقد واجه بعض المتجنسين الرفض والنبذ من قبل المجتمع الجزائري حيث صرَّح أحدهم: "... لم أجرؤ على العودة إلى بلدتي... لم يرحبوا بي أبدا، فقد مات أبي دون العفو عني...".

ورغم ذلك، دافع أغلبية المدرسين عن التجنيس، معتبرين إيَّاه الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تُؤدي إلى سبيل النجاة.[1]

المبحث الرابع: موقف فرنسا من النُخبة المُفرنسة

بعد أن تمَّ نشر المقالات المنسوبة إلى كل من "مارسي" (Marçais) و"دوتي" (Doutte)، بدأ الرأي العام الفرنسي يكتشف تدريجيًا وجود حزب "الشباب التركي" (jeunes Tures) في الجزائر وفرنسا. وقد لقي هذا الأمر ترحيبًا كبيرًا من قبل الفرنسيين، خاصةً وأنَّهم قد تعرفوا سابقًا على حركة "الشباب الأتراك" في الدولة العثمانية التي ظهرت عام 1876م، من خلال أول صحيفة أصدرتها "لجنة الاتحاد والترقي" عام 1895م، واستلهم هذا الحزب العثماني مبادئه من الثورة الفرنسية، التي تتمثل في "الحرية، المساواة، والإخاء"، ممَّا جعله يحظى بدعم كبير من الصحافة الفرنسية في بداية الأمر، أي أنَّها رأت فيه صورة ليبرالية وعلمانية. وعندما بدأ الحديث عن الشباب الأتراك في الجزائر، اعتقدت الصحافة الفرنسية أنَّها تتعامل مع نفس النموذج من الشخصيات السياسية، فسارعت إلى تبني موقف داعم لهذه الحركة منذ ذلك الحين، معتبرة إياها جزء من الشباب الأتراك العثمانيين.[2]

وعلى النقيض من ذلك، بعد فترة ظهر فريقين كل منهما له وجهة نظر حول النُخبة استنادًا على صحيفة "Le Temps" عام 1904م بقولها: "... إنَّ وجود طبقة ميسورة الحال ماديًا، وذكية، ومتعلمة، هي ضرورة مُلحة بالنسبة لنا إذا أردنا أن يسود بين الطائفتين التقارب والتواجد الجماعي يقبله طرفان بسهولة..."، وهذا يعتبر دليلًا حاسمًا على تقبل وجود النُخبة كجزء أساسي من فرنسا، ويتبنى هذا الرأي الكثير من المفكرين الوطن الأم (فرنسا) وخصوصًا الذين لم يكونوا يرون أي تناقض بين مصالح فرنسا ومصالح الأهالي.[3]

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 146.

[2] Charles Robert Ageron, Genése de L'Algérie Algérienne, Édif 2000, Alger, 2010, P: 110.

[3] غي برفيليي، المرجع السابق، ص ص: 118-119.

في المقابل، نجد فريقًا من المعمرين يرفض تواجد النُخبة، بحيث يُؤكد بإصرار على رأيه القائل بأنَّ عدوانية الأهالي تُقاس بمدى تحصيلهم العلمي، وأنَّ السماح لهم بالوصول إلى مستوى التعليم العالي سوف يُسفر عن تكوين قيادين أشد خطرًا.[1]

ورغم أنَّ نشاط النُخبة يندرج ضمن إطار السيادة والوطن الفرنسي، إلَّا أنَّهم لم يحصلوا على شيء من الإدارة الفرنسية، التي بقيت حذرة اتجاههم.[2]

ولكي تتظاهر فرنسا بتفهمها لهذه النُخبة المتشبعة بأفكارها، أصدرت يوم 13 جانفي 1914م قرارًا ينص على توسيع دائرة القسم الانتخابي الأهلي بشروط محددة: ألا تزيد الزيادة عن ثلث عدد الأعضاء الكلي، أو 12 عضوًا كحد أقصى. ويشترط في الناخب الجزائري: أن يكون عمره 25 سنة على الأقل، ومقيمًا في بلديته بشكل متواصل لمدة ثلاث سنوات دون انقطاع، وأن يتوفر فيه أحد الشروط التالية: أن يملك عقارًا في البلدية ويُقيم فيها سنة على الأقل، أو أن يكون موظفًا حكوميًا أو متقاعدًا من الوظيفة الحكومية، أو عضوًا في الغرفة الزراعية أو التجارية، أو حاصلًا على الوسام الفرنسي، أو حاصل على شهادة من معهد تربوي فرنسي، أو فائزًا بجائزة زراعية أو تجارية مخصصة للجزائريين.

غير أنَّ هذه الإجراءات كانت محاولة لاسترضاء فئة صغيرة من النُخبة، ولم تكن هذه القرارات ذات فائدة حقيقية، كما لم تستجب للمطالب الحقيقية للشعب الجزائري.[3]

---

[1] غي برفيليي، المرجع السابق، ص: 120.

[2] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939م)، تر: أحمد بن البار، ج 1، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص: 281.

[3] يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص ص: 28-29.

الخلاصة:

لقد كانت النُخبة الجزائرية المُفرنسة ظاهرة مميزة في تاريخ الجزائر خلال الاستعمار، لأنَّها وُلدت من قلب التناقضات: فهي تنتمي لشعب يعاني من الاستعمار، لكنَّها تشبعت بثقافة المستعمر، بحيث سعت بطريقتها، إلى البحث عن موقع لها وسط مجتمع مضطرب، فآمنت بعض الشخصيات بضرورة الاندماج مع فرنسا والمطالبة بالجنسية، ووقفت إلى جانب قوانين مثل قانون التجنيد الإجباري، على أمل أن يُعترف بها كمواطن كامل الحقوق.

لكن هذا المسار لم يكن سهلًا ولا مقبولًا دائمًا، فقد قوبلت هذه المواقف بالرفض من المجتمع الذي رأى في التجنيس تخليًا عن الدين والهوية. هكذا وُضعت النُخبة بين نارين: الوفاء لجذورها أو السعي لتحقيق مكانة داخل نظام لا يعترف بها إلَّا بشروط قاسية.

وفي النهاية، يمكن القول إنَّ هذه النُخبة لم تكن كلها خائنة ولا كلها مخلصة، بل كانت مرآة لمرحلة معقدة من تاريخ الجزائر، مرحلة حاول فيها البعض أن يجدوا لأنفسهم طريقًا، وإن كان محفوفًا بالشك والرفض. وسواء أخطأت هذه النُخبة أو أصابت، فإنَّها تركت أثرًا يستحق الدراسة والتحليل، لا الحكم والانفعال فقط، وأثارت أسئلة لا تزال تُطرح إلى اليوم عن الهوية، والانتماء، ومعنى المقاومة في زمن الاستعمار.

الفصل الثاني: "شريف بن حبيلس: سيرته وأثره بين 1891 و1959م"

المبحث الأول: أصل وتاريخ عائلة شريف بن حبيلس

المبحث الثاني: مولد شريف بن حبيلس ونشأته

المبحث الثالث: مساره العلمي والمهني

المبحث الرابع: تطور مواقف بن حبيلس الفكرية والسياسية

المبحث الخامس: آثاره ووفاته

تمهيد:

يُعد شريف بن حبيلس من الشخصيات البارزة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، إذ برز من خلال نشاطه في المجالات الإدارية والفكرية والسياسية، واتسمت مواقفه بالاعتدال والسعي إلى الحوار مع مختلف التيارات، ما جعله محل تقدير لدى البعض، وانتقاد من آخرين.

وقد مكّنته المناصب التي تقلدها من التأثير في قضايا وطنية مهمة، غير أنَّ مسيرته انتهت بشكل مفاجئ بعد اغتياله في ظروف لا تزال تثير الجدل، وهو ما طرح عدة تساؤلات حول طبيعة الصراع الذي أدى إلى تلك النهاية. وهو ما يجعل من سيرته موضوعًا يستحق الدراسة لفهم أعمق للسياق الذي نشط فيه.

فهل كان شريف بن حبيلس حلقة وصل بين أطراف متنازعة؟ أم ضحية لصراعات أكبر من شخصه؟ وكيف يمكن أن تُسهم دراسة سيرته في فهم تعقيدات تلك المرحلة الحاسمة في تاريخ الجزائر؟

المبحث الأول: أصل وتاريخ عائلة شريف بن حبيلس

تُعد عائلة بن حبيلس إحدى العائلات الجزائرية المؤثرة التي لعبت دورًا بارزًا في المشهدين السياسي والاجتماعي، خاصةً في منطقتي جيجل و"تاكيتونت" (Taki Tount)، برز نفوذ هذه العائلة بشكل ملحوظ منذ أواخر العهد العثماني، ثم تعزز خلال فترة الاستعمار الفرنسي عبر مشاركتها الفاعلة في نظام الإدارة الأهلية، ومن هذا المنطلق يهدف هذا المبحث إلى دراسة أصل وتاريخ هذه العائلة، مع التركيز على دورها في مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ينحدر شريف بن حبيلس من عائلة الأجواد[1]، وهي إحدى العائلات الكبيرة في الجزائر (Familles de Grande Tente)، التي حظيت بمكانة بارزة منذ زمن بعيد في منطقة تاكيتونت، على المنحدر الجنوبي لجبال البابور في صغرى القبائل.

وتعود جذورها إلى فئة قليلة من العائلات التي تحالفت مع الدولة العثمانية في أواخر عهدها، بدلًا من التنافس معها على السلطة، وبعد انهيار النظام العثماني، سارعت إلى الدخول في علاقة تصالح مع الإدارة الفرنسية، حيث شغل أفرادها مناصب قيادية ضمن نظام الإدارة الأهلية الذي بدأ تطبيقه منذ أربعينيات القرن التاسع عشر.[2]

من بين أبرز شخصيات عائلة بن حبيلس القايد عمور، الذي تولى قيادة قبيلة بني فغال سنة 1864م، وبرز اسمه خلال تلك المرحلة، لاسيما في معركة ممر سلمى، حيث أظهر شجاعة لافتة مكنته من الحصول على وسام فارس في جوقة الشرف الفرنسية، وفي سنة 1871م، قاد فرقته العسكرية لمساندة شقيقه، قايد منطقة البابور، في مواجهة الاضطرابات التي شهدتها المنطقة آنذاك،

[1] الأجواد: هم الهيئة التي تنتمي إلى القبيلة، تمتعوا بمكانة اجتماعية ودينية مرموقة، ولكن سلطتهم التقليدية تراجعت مع دخول الاستعمار، الذي أنشأ هيئات إدارية بديلة مثل: جماعة "القبلة" و"الدوار". ينظر: جمال ورتي، "قانون الحالة المدنية 23 مارس 1882م محصلة تفكيك ممنهج لبنى المجتمع الجزائري"، مداخلة ضمن الملتقى الوطني الخاص: بأعمال الملتقى الوطني حول الألقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والآثار (1873-1962م)، المرجع السابق، ص: 322.

[2] John Ruedy, "Chérif Benhabylès and Ferhat Abbas: Case Studies in the Contradictions of the Mission Civilisatrice", **Historical Reflections / Réflexions Historiques**, Vol. 28, No. 2, New York, Summer 2002, P: 188.

وتمكنا معًا من احتواء الوضع مؤقتًا، قبل أن يتعرض مقرّه للنهب والحرق، ما اضطره إلى الانسحاب نحو مدينة جيجل.[1]

وعند وفاته سنة 1890م، خلفه ابنه أحمد بن حبيلس على رأس دوار بني فغال، وقد واصل هذا الأخير العمل الإداري بتفانٍ وولاء، ممَّا أكسبه احترام السكان وثقة الإدارة الفرنسية على حد سواء. نال وسام فارس في جوقة الشرف تقديرًا لخدماته، وعُيّن لاحقًا نائبًا للأهالي في "دوار تمسغيدة" (Douar Tamesguida)، وهو من أصعب الدواوير في الإدارة المحلية، خلفًا للراحل الحساني عبد العزيز، وقد استُقبل تعيينه بترحيب واسع، بينما تولى شقيقه مسعود قيادة دوار بني فغال.[2]

في هذا السياق، وبموجب قرار صادر عن الحاكم العام بتاريخ 18 جانفي 1919م، تمَّ تعيين محمد بن عمر بن حبيلس معاونًا أهليًا لدوار بني فغال، بالبلدية المختلطة جيجل.[3]

كما برز من العائلة نفسها الشيخ قساري محمد بن حبيلس، الذي خدم في صفوف "الصبايحية"[4] (Spahis) لمدة 25 سنة، قبل أن يُعيّن شيخًا لدوار العوانة الذي تولّى إدارته لعشرين عامًا كاملة، نال خلالها احترام السكان وتقدير الإدارة الفرنسية، التي منحته الميدالية العسكرية سنة 1882م نظير شجاعته أثناء توقيفه أحد المجرمين، ثم وسام جوقة الشرف سنة 1897م اعترافًا بخدماته.[5]

وبفضل هذه التعيينات، أصبحت عائلة بن حبيلس تتولى إدارة عدَّة دواوير كبرى ضمن البلديات المختلطة لجيجل وتاكيتونت، مثل: "تمسغيدة" (Tamesguida)، بني فغال، سرج الغول، والأربعاء. ويُظهر هذا التدرج التاريخي مدى رسوخ نفوذ العائلة، وقدرتها على التكيف مع مختلف

[1] L'Impartial, "Organe Républicain des Intérêts de Djidjelli et de la Région", No. 1149, 23e Année, Alger, Dimanche 20 Octobre 1912, P: 2.

[2] Ibid, P: 2.

[3] Le Mobacher, "Journal Officiel Paraissant Deux Fois Par Semaine", No. 6156, 71e Année, Alger, Samedi 25 Janvier 1919, P: 2.

[4] الصبايحية: هم خيالة جزائريون جندتهم فرنسا منذ 1831م، وكانوا يُعرفون بالسبايس في العهد العثماني، شُكلت أولى كتائبهم سنة 1834م في الجزائر، وتلتها كتائب في عنابة ووهران، ثم تم توحيدهم سنة 1843م في سلك عسكري موحد، ونُظموا رسميًا في العمالات الثلاث سنة 1845م. ينظر: وحيد بوزيدي، المجندون المسلمون الجزائريون في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي وعلاقتهم بالثورة الجزائرية (1954-1962م) - دراسة من خلال وثائق أرشيف ما وراء البحار -، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ الثورة الجزائرية (1954-1962م)، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف، 2020-2021م، ص: 19.

[5] L'Impartial, Op. Cit, No. 790, 16e Année, Alger, Dimanche 12 Novembre 1905, P: 2.

التحولات السياسية، الأمر الذي مكَّنها من المحافظة على موقع مرموق في البنية الاجتماعية والإدارية للمنطقة.[1]

إضافة إلى ذلك، نال الشيخ بن حبيلس وسام ضابط في جوقة الشرف خلال حفل رسمي أُقيم سنة 1913م في قصر فاخر بمدينة "شيفرول" (Chevreul).

هذا الحدث، الذي جمع بين السلطات الفرنسية والشخصيات البارزة من السكان المحليين، يعكس المكانة المرموقة التي كانت تتمتع بها العائلة في تلك الفترة، وخلال هذه المناسبة عبّر محافظ قسنطينة السيد "سيغنورت" (Seignouret)، عن سروره بالتعاون مع الشيخ بن حبيلس، مؤكدًا تقديره له كخادم مخلص لفرنسا.[2]

وامتد تأثير عائلة بن حبيلس إلى مجالات أخرى، خاصةً في القطاع الزراعي، حيث تمَّ تكريم بلقاسم بن حبيلس، المعروف بحمّو، رئيس جماعة دوار بني فغال، بمنحه وسام فارس في الاستحقاق الزراعي، وذلك تقديرًا لجهوده في خدمة هذا القطاع.

ويُذكر أن بلقاسم هو شقيق القايد مسعود بن حبيلس، ممَّا يعكس استمرار تأثير العائلة في مختلف جوانب الحياة المحلية.[3]

كل هذه المعطيات تؤكد المكانة البارزة التي احتلتها عائلة بن حبيلس داخل النظام الاستعماري، وذلك بتعدد أدوارها في المجالات الإدارية والاجتماعية والثقافية، ويعتبر شريف بن حبيلس من أبرز أفراد هذه العائلة، ولذلك من الضروري التطرق لمسيرته عبر دراسة مولده ونشأته في المبحث التالي.

المبحث الثاني: مولد شريف بن حبيلس ونشأته

تعددت الروايات حول تاريخ ومكان ولادة شريف بن حبيلس، فقد ورد في خطاب مجلس الشيوخ الفرنسي أنّ شريف بن حبيلس وُلد بتاريخ 25 ديسمبر 1891م في "شيفرول" (Chevreul) قرب قسنطينة، من عائلة تحظى باحترام كبير في مناطق "سان أرنو" (Saint Arnaud)– وجيجل، كما

[1] L'Impartial, Op. Cit, No. 1149, 23e Année, Alger, Dimanche 20 Octobre 1912, P: 2.

[2] L'Afrique du Nord Illustrée, "Journal Hebdomadaire «Algérie - Tunisie - Maroc»", No. 236, 8e Année, Alger, 21 Juin 1913, P: 8-9.

[3] L'Impartial, "Hebdomadaire Fondé en 1890 par Jules Angeli « Le Réveil Djidjellien»", No. 51, 63e Année, Alger, Dimanche 3 Octobre 1954, P: 2.

ذكر أنّ والده محمد سعيد بن حبيلس من دوار "زازورة" (Zazoura)، كان يحمل لقب الباش آغا[1] وهو لقب إداري رفيع منحته الإدارة الاستعمارية لبعض الشخصيات المحلية ذات النفوذ.[2]

وتُشير بعض المصادر إلى أنَّه وُلد في دوّار سيدي ميمون[3]، التابع للبلدية المختلطة "تاكيتونت" (Taki Tount) ضمن إقليم قسنطينة عند سفوح جبال البابور، نشأ في كنف عمه الباش آغا بن حبيلس، أحد كبار المسؤولين في الإدارة الأهلية خلال فترة الاستعمار الفرنسي، حيث تولى تربيته ورعايته.[4]

أمَّا دراسة نفيسة دويدة، فتذكر أنَّه وُلد في 25 ديسمبر 1885م بضواحي مدينة قسنطينة، لعائلة جزائرية عريقة ومثقفة.

نشأ شريف بن حبيلس في بيئة ثقافية متميزة، تأثر فيها بالثقافة الفرنسية "العصرية"، فكان يتَّبع النمط الأوروبي في لباسه وأسلوب حياته، كما كان يحرص على تقليد الأوروبيين في المناسبات الاجتماعية والثقافية، ورغم ذلك، لم تتوفر تفاصيل كثيرة عن حياته الخاصة مقارنة بشخصيات أخرى معاصرة له مثل: محمد الصالح بن جلول أو فرحات عباس.[5]

تميّز شريف بن حبيلس بموهبة رائعة في التصوير والتمثيل، وكان مطّلعًا على الكلاسيكيات الغربية، ويتصف بالحيوية وسرعة الحركة، ووجهه يعكس مزيجًا من الشجاعة والحذر. كما عُرف بلباقته وقدرته على إدارة الحوارات بأسلوب راقٍ، وتمتّع بحس مرهف وفكر متزن، وكانت لغته دائمًا

[1] الباش آغا: أواخر العهد العثماني، صار يُطلق على صاحب المنصب لقب الباش آغا بسبب توسع مهامه وزيادة صلاحياته. لم يعد فقط أحد الآغوات المنتشرين في أرجاء الجزائر، بل أصبح القائد العسكري الذي يجمع قيادة القوات كلها في يده، حسب ما ذكر الباحث حرفوش. ينظر: ياسين بودريعة، "آغا العرب بالجزائر المنصب السامي والطموح السياسي خلال مرحلة الدايات (1671–1830م)"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج 7، ع 1، جامعة البويرة، الجزائر، 2023م، ص: 349.

[2] GGA, Journal Officiel de la République Française, Débats Parlementaires Sénat, Compte Rendu Intégral des Séances, 1re Session Ordinaire de 1959-1960, Séance du Mardi 6 Octobre 1959, No. 31 s, Paris, Mercredi 7 Octobre 1959, P: 726.

[3] Le Mobacher, Op. Cit, No. 4150, 51e Année, Alger, Samedi 4 Novembre 1899, P: 1.

[4] La Bréche, "Chérif Benhabylés Chevalier de La Légion D'Honneur", No. 141, 3e Année, Alger, Samedi 29 Octobre 1927, P: 1.

[5] نفيسة دويدة، "مقالات متنوعة الشريف بن حبيلس: آراؤه واهتماماته الفكرية"، **إنسانيات**، مج 20، ع 72–73، أفريل – سبتمبر 2016م، الجزائر، ص ص: 69–70.

أنيقة ومؤثرة. جمع في شخصيته بين الثقافة الإسلامية التقليدية والثقافة الفرنسية، وظلّ محافظًا على تواضعه واعتزازه بهويته الثقافية، وكان مؤمنًا إيمانًا عميقًا، لكنه لم يكن يستسلم بسهولة لفكرة القدر، إذ كان يرى في العقل والطاقة البشرية أدوات أساسية لفهم الواقع والتأثير فيه، وكان يميل دائمًا إلى التفكير العقلاني.[1]

المبحث الثالث: مساره العلمي والمهني

نظرًا لانتماء شريف بن حبيلس إلى عائلة جزائرية أرستقراطية، فقد التحق منذ الصغر بالمدارس الفرنسية التي خُصصت لأبناء هذه الفئة، حيث تابع تعليمه الابتدائي والمتوسط، ثمَّ واصل دراسته الثانوية بالمدرسة الفرنسية الإسلامية في قسنطينة.

هذا المسار التعليمي منحه فرصة كبيرة لإتقان اللغة الفرنسية، خاصةً وأنَّ أغلب أساتذته كانوا فرنسيين، وقد لعب هؤلاء دورًا بارزًا في غرس حب فرنسا والتأثر بها في نفسه، من خلال الدروس التي تلقاها، وهي دروس كانت تهدف إلى تغيير ذهنية النُخبة الجزائرية، وغزوها بأفكار غربية للقضاء على هويتها الحضارية.[2]

إلى جانب تعليمه الفرنسي حصل شريف بن حبيلس أيضًا على شهادات عليا من المدارس الإسلامية، ما جعله مثقفًا مزدوج اللغة يجيد العربية والفرنسية معًا.[3]

واصل دراسته العليا في جامعة الجزائر، حيث التحق بالمدرسة العليا للآداب، وتخصص في كلية الحقوق، متدرّجًا في مساره الأكاديمي إلى أن نال شهادة الدكتوراه في الحقوق.

ولعل التكوين الذي تلقاه بن حبيلس مكنه من تقلد العديد من المناصب:

1- النشاط القضائي والإداري:

بدأ شريف بن حبيلس مساره المهني في سلك القضاء، حيث تمَّ تعيينه في 21 جانفي 1914م، كـ "عدلي" في المحكمة الفرعية في زيمورا (سطيف)، ثم عُيِّن لاحقًا "نائبًا للقاضي الموثّق"

[1] GGA, Journal Officiel de la République Française, Op. Cit, P: 726.

[2] قاصري محمد السعيد، "النُخبة الجزائرية الفرانكفونية بين التطرف والاعتدال شريف بن حبيلس أنموذجًا (1891-1959م)"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، مج 7، ع 13، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2017م، ص ص: 290-291.

[3] GGA, Journal Officiel de la République Française, Op. Cit, P: 726.

(Suppléant du Cadi-Notaire) في منطقتي "الكراطة" (Kerrata)[1] و"أقبو" (Akbou). وفي 24 مارس 1919م، صدر قرار من الحاكم العام للجزائر يقضي بترقيته إلى منصب "قاضٍ وموثق" (Cadi-Notaire) بمدينة "بريغوتفيل" (Périgotville).[2]

وفي إطار دفاعه عن مكانة أعوان المحاكم الشرعية، طالب شريف بن حبيلس، بصفته رئيس ودادية دائرة قسنطينة، بضرورة تحسين أوضاعهم المادية، معتبرًا أنَّ ذلك أمر مهم للحفاظ على سمعة العدالة الفرنسية وحمايتها من الشبهات.[3]

2- مساهماته في النشاط السياسي والاجتماعي:

إلى جانب مساره القضائي، نشط شريف بن حبيلس في المجالين السياسي والاجتماعي، حيث شغل "منصب رئيس جماعة دوار دحيمشة" (Président de la Djemaâ du Douar Dehemcha) التابعة "للبلدية المختلطة تاكيتونت"[4] (Commune mixte de Taki Tount). نهيك عن أداء مهامه التمثيلية على مستوى المجالس.

أ- الترشح لانتخابات الوفود المالية:

كان شريف بن حبيلس يشغل منصب الكاتب العام لاتحاد المنتخبين الأهالي في ولاية قسنطينة، وقد اعتبرته الصحافة شخصية معروفة لا تحتاج إلى مديح خاص.[5]

في هذا السياق، أعلن عن نيته للترشح لانتخابات الوفود المالية ضمن فئة الأهالي، خلفًا للباش آغا بن حبيلس، الذي عُرف بإخلاصه الكبير في خدمة المصالح الفرنسية، وقد أُشير إلى أنَّ شريف بن حبيلس قد تمّ تهيئته بفضل التعليم الذي تلقاه ليُقدم خدمات للمجتمع، لاسيما لفائدة سكان الأهالي، كما كان يحظى باحترام كبير في مدينة جيجل.[6]

---

[1] Le Mobacher, Op. Cit, No. 5694, 66e Année, Alger, Samedi 22 Août 1914, P: 1.

[2] Ibid, No. 6176, 71e Année, Alger, Samedi 5 Avril 1919, P: 1.

[3] L'Ikdam (Le Rachidi), "Organe Républicain D'Union Franco-Musulmane Paraissant à Alger Le Vendredi", No. 7, 7e Année (3e Série), Alger, Vendredi 22 octobre 1920, P: 2.

[4] Chérif Sisbane, Note sur les Réformes Désirées par la Fédération des Élus des Indigènes du Département de Constantine, Alger, 1931, P: 4.

[5] GGA, L'Union Républicaine, "Organe Hebdomadaire des Intérêts de la Région de Sétifiens", No. 1716, 31e Année, Alger, Jeudi 7 Janvier 1932, P: 1.

[6] L'Impartial," Le Conseil Municipal de Djidjelli a Élumaire M. Jules Lochard à L'Unanimité Honneur à Lui", No. 2086, 42e Année, Alger, Dimanche 10 Janvier 1932, P: 1.

واجه شريف بن حبيلس خلال ترشحه للانتخابات، منافسة قوية من شخصيات ذات نفوذ اقتصادي وديني، من أبرزهم "السيد كولي" (M. Kolli) الذي انتهت عهدته، وبن جاب الله لخضر، أحد أكبر المساهمين في شركة "لكدار وشركائه للسيارات"، وقد عبَّرت الصحافة الفرنسية آنذاك عن أملها في أن تتفوق كفاءة بن حبيلس الفكرية على النفوذ المادي والديني لمنافسيه.[1]

ورغم هذا الدعم المعنوي، لم يُنتخب شريف بن حبيلس، وفسَّرت بعض الصحف هذا الإخفاق بأنَّه لم يكن بسبب ضعف شعبيته، بل بسبب عاملين أساسيين: قلة إمكانياته المالية، ومعارضة شخصية إدارية نافذة في منطقته، ويُظهر هذا الواقع الصعوبات التي كانت تواجهها النُخبة الجزائرية المُثقفة، حتى عند محاولتها الانخراط في الأُطر القانونية والانتخابية التي وضعتها الإدارة الاستعمارية.[2]

غير أنَّ مسيرة شريف بن حبيلس لم تتوقف عند هذه المحاولة، حيث أعلن مجلس الدولة في جلسته يوم 16 نوفمبر 1938م، عن انتخابه عضوًا في الوفد المالي عن الدائرة السادسة للقبائل في منطقة "باليسترو" (Paléstro) وقد أسعد هذا الخبر عدد كبير من أصدقائه في المنطقة، الذين عبروا عن سعادتهم وقدموا له التهاني بمناسبة فوزه بهذا المنصب المهم.[3]

ب- تأسيس حركة الشُبان الجزائريين:

كان شريف بن حبيلس من بين المؤسسين البارزين في حركة الشُبان الجزائريين[4]، وهي مجموعة ضمَّت عددًا قليلًا من حاملي الشهادات، حيث لم يتجاوز عددهم سنة 1912م حوالي 25 شخصًا، ومن بين النشاطات التي قامت بها إصدار "بيان الشُبان الجزائريين" سنة 1912م، وقد أشار بوعلام بن حمودة إلى دور بن حبيلس في هذه الحركة، مؤكّدًا أنه كان يترأسها: "... إنّ مطالب حركة

---

[1] La Bréche, No. 312, 8e Année, Alger, Samedi 9 Janvier 1932, P: 5.

[2] Ibid, No. 313, 8e Année, Alger, Samedi 23 Janvier 1932, P: 2.

[3] GGA, L'Union Républicaine, Op. Cit, No. 2077, 37e Année, Alger, Jeudi 17 Novembre 1938, P: 2.

[4] حركة الشُبان الجزائريين: ظهرت في مطلع القرن الماضي كتحركٍ سياسي، عُرف باسم الشبان الجزائريين، وهم فئة من المثقفين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية، وكانوا يؤمنون بضرورة تحقيق المساواة مع الفرنسيين. وقد ساهم هذا الاتجاه في ظهور نوادٍ فكرية، والدعوة إلى إصدار الصحف، وطباعة الكتب القديمة، ودعم فكرة الإصلاح الديني. ينظر: حكيم بن الشيخ، الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1912-1936م)، د.ط، دار العلم والمعرفة، الجزائر، 2013م، ص: 65.

الشبان الجزائريين تحت رئاسة شريف بن حبيلس تشبه تلك التي يرفعها الأمير خالد..."، ما يدل على وجود تقارب واضح في المواقف والرؤى بين الرجلين.[1]

وفي سنة 1914م قام قادة هذه الحركة بقيادة شريف بن حبيلس بضم جهودهم إلى الأمير خالد بن الهاشمي –حفيد الأمير عبد القادر[2]– من أجل تصعيد الاحتجاجات والمطالبة بالحقوق الكاملة للجزائريين، وعلى رأسها الحق في التمثيل داخل البرلمان الفرنسي.[3]

ج- تأسيس لجنة الدّفاع عن مصالح المُسلمين الجزائريين (1908م):

تأسست لجنة الدّفاع عن مصالح المُسلمين الجزائريين سنة 1908م بالجزائر العاصمة، وكان من أبرز أعضائها شريف بن حبيلس، إلى جانب عمر بوضربة[4]، وابن التهامي، وقد جاءت هذه اللجنة بهدف توحيد جهود المُثقفين الجزائريين وتنظيم عملهم السياسي، من خلال تمثيل الجزائريين ونقل مطالبهم مباشرةً إلى السلطات الفرنسية.

ويبدو أنَّ هذه الجماعة كانت من أوائل من بادروا بهذه الخطوة في ظل غياب الشرعية الوطنية في ذلك الوقت، لكنَّها كانت تسعى بالدرجة الأولى إلى تحقيق مصالحها الخاصة، وإثبات حضورها في الساحة السياسية، حتى وإن كان ذلك بعيدًا عن الانشغالات الحقيقية للجزائريين.[5]

---

[1] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 298.

[2] الأمير عبد القادر: هو عبد القادر ناصر الدين، وُلد في شهر ماي 1807م، بقرية القيطنة في إقليم وهران، نشأ في بيئة دينية وعلمية، حفظ القرآن مبكرًا وتعلّم الفقه وبدأ التدريس شابًا، تميز بالشجاعة والفروسية والثقافة الواسعة، واعتزل فترة للعبادة والدراسة، فاطلع على مؤلفات الفلاسفة والعلماء مثل: أفلاطون وأرسطو. ينظر: شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر. وتقد. وتعليق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م، ص ص: 39-40، ص: 42، ص: 47.

[3] سمير نور الدين دردور، ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، د.ط، مؤسسة هنداوي سي آي سي، مصر، 2019م، ص: 108.

[4] عمر بوضربة: هو أحد رجال الأعمال الجزائريين خلال فترة الاستعمار الفرنسي، اشتغل في مجال التجارة، وينحدر من عائلة بوضربة التي عايشت بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان من المتجنسين بالجنسية الفرنسية، وقد تأثر بشكل واضح بالثقافة الفرنسية، ممَّا جعله يُصنّف ضمن فئة "المُتفرنسين" في تلك الفترة. ينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 65.

[5] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص: 120.

د- مساهمة شريف بن حبيلس في نادي صالح باي:

كان شريف بن حبيلس من بين الأعضاء البارزين في نادي صالح باي[1]، حيث عبَّر في إحدى تصريحاته عن أهداف هذا النادي، التي تمثلت في تنظيم دروس في التعليم العام والمهني، وتقديم محاضرات علمية وأدبية، إلى جانب تأسيس جمعيات خيرية، والعمل على نشر قيم التعاون والعمل والأخوة.

كما سعى النادي أيضًا إلى نشر التعليم والمساهمة في النهوض بالمجتمع الجزائري، بالإضافة إلى محاولة التقريب بين الفرنسيين والجزائريين.[2]

وبالتوازي مع نشاط هذا النادي، سمحت السلطات الفرنسية منذ بداية القرن العشرين بإنشاء جمعيات تعليمية واجتماعية، فظهرت في العاصمة الجزائرية عدَّة جمعيات، من بينها الجمعية الراشدية والجمعية التوفيقية، وقد شارك شريف بن حبيلس في تسيير هذه الجمعيات إلى جانب عدد من الجزائريين المُتجنسين بالجنسية الفرنسية والمتخرجين من المدارس الفرنسية، مثل: الدكتور بلقاسم بن التهامي، ومحمد صوالح[3]، والدكتور الطيب مرسلي، ومختار الحاج سعيد[4]، ورغم أنَّ أغلب أعضاء هذه الجمعيات كانوا من المُثقفين المُفرنسين "أنصار الاندماج"، إلَّا أنَّهم لم يكونوا وحدهم، حيث انضم إليهم بعض المُثقفين الناطقين بالعربية ورجال الدين، الذين ساهموا في أنشطتها بإلقاء محاضرات في

---

[1] خالد بوهند، المرجع السابق، ص: 186.

[2] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 299.

[3] محمد صوالح: هو محمد صوالح بن معمر من منطقة تيارت، ويُعد من نُخبة الجزائريين المتعلمين خلال فترة الاستعمار الفرنسي، نال شهادة البكالوريا عام 1894م، ثمَّ شهادة التبريز عام 1910م. عمل أستاذًا ومترجمًا وصحفيًا، وأسّس عددًا من الجرائد، من بينها: جريدة المستقبل. كما كان من المشاركين في حركة الشُبان الجزائريين، واهتم بإصلاح التعليم والنهوض بالمجتمع. ينظر: لهلالي سلوى، "من أعلام الثقافة بمنطقة تيارت محمد صوالح (1872-1953م)"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا**، مج 5، ع 2، جامعة سطيف 2، الجزائر، أفريل 2022م، ص: 314.

[4] مختار الحاج سعيد: محامٍ كان يمارس نشاطه بمدينة قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية، عُرف بدفاعه عن توجهات جماعة النُخبة من خلال كتاباته، وكان ناشطًا أيضًا ضمن الجمعيات الفنية والثقافية، ممَّا يعكس اهتمامه بالجوانب الفكرية والاجتماعية. ينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 67.

مجالات مختلفة، مثل المفتي ابن الموهوب في قسنطينة، وعبد القادر المجاوي في العاصمة، والقاضي شعيب[1] في تلمسان.[2]

هـ- تأسيس فدرالية منتخبي عمالة قسنطينة:

ورد عند محفوظ قداش[3] أنَّ فدرالية منتخبي عمالة قسنطينة تأسست في أواخر عشرينيات القرن العشرين بمدينة قسنطينة، بمبادرة من مجموعة من الشخصيات كان أبرزها محمد الشريف سيسبان[4]، وقد أصبحت تُعرف بمكتب اتحادية المُنتخبين المسلمين لقسنطينة، على غرار مكاتب مماثلة في مدن مثل: وهران، الجزائر، وتلمسان[5]، تشكل المكتب على النحو التالي: الرئيس محمد الشريف سيسبان، ونوابه: دحال محمد، بن يعقوب، بن خلاف حسان، وعمران بشير[6]، بينما تولى شريف بن حبيلس منصب الأمين العام[7]، وساعده ابن باديس مولود، بالإضافة إلى مساعدين آخرين مثل: ابن باديس محمد مصطفى، قلي أحمد، عابد علي، وعلاوة السعيد. وقد رفعت هذه الفدرالية مجموعة من المطالب إلى

---

[1] القاضي شعيب: هو شعيب بن علي بن محمد بن فضل الله، من عائلة علمية تُعرف بأولاد أبي بكر في تلمسان، مشهورة بالعلم والصلاح، وُلد سنة 1259هـ وتوفي سنة 1347هـ، كان عالمًا مشاركًا في عدة علوم، ونشطًا في التأليف والتعليم، وله مؤلفات في العقيدة، اللغة، والموسيقى. تولى الإمامة والخطابة، ثم عُيّن قاضيًا بتلمسان من سنة 1290هـ حتى تقاعده سنة 1341هـ، شارك في مؤتمر المستشرقين في السويد سنة 1889م كمندوب عن الجزائر وتونس، وحصل على عدة أوسمة من الحكومة. ينظر: عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، ج 1-2، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 هـ-2003م، ص ص: 236-239.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص: 314.

[3] محفوظ قداش: ولد في 21 نوفمبر 1923م بالجزائر العاصمة في أسرة متواضعة، كان من بين الشخصيات البارزة في الحركة الكشفية، إذ تولى منصب الأمين العام للكشافة الإسلامية الجزائرية سنة 1953م، ثمَّ أصبح رئيسًا لها لاحقًا. ينظر: عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962م)، تر: عالم مختار، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 275.

[4] محمد الشريف سيسبان: كان محاميًا ومندوبًا ماليًا عن منطقة باتنة، كما شغل منصب رئيس الشعبة العربية ضمن الوفد المالي. ينظر: Chérif Sisbane, Op. Cit, P: 5.

[5] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 299.

[6] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939م)، المرجع السابق، ص: 376.

[7] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 268.

السلطات الفرنسية، من أبرزها: تمثيل النُخبة الجزائرية في البرلمان، إلغاء نظام الإقامة الخاصة، تخفيف قوانين الغابات، إلغاء نظام المسؤولية الجماعية، والمطالبة بالمساواة في الخدمة العسكرية.[1]

إلَّا أنَّها واجهت معارضة شديدة من قبل الإدارة الفرنسية وبعض المُثقفين المُفرنسين، ما أدى إلى استقالة محمد الشريف سيسبان في 22 ماي 1932، ليخلفه محمد الصالح بن جلول وفريقه.[2]

وفي خضم هذا النشاط، حصل شريف بن حبيلس على وسام الشرف الفرنسي (Chevalier de la Légion D'Honneur) سنة 1927م، وقد أشادت به جريدة "المستضعفين" في أحد أعدادها.[3]

و- تأسيس رابطة أحباب فرنسا في الجزائر1937م:

رغم الجهود التي بذلها شريف بن حبيلس في الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، ورغم تراجُع فرحات عباس عن بعض مواقفه "المتطرفة"، وبالرغم أيضًا من انتماء بن حبيلس إلى جماعته، إلا أنَّ هناك نشاطًا قام به في أواخر سنة 1937م بدا وكأنه يتناقض مع مواقفه السابقة، فقد شارك في تأسيس ما عُرف برابطة أحباب فرنسا في الجزائر خلال شهر ديسمبر 1937م، وهي جمعية ضمَّت عددًا من الشخصيات المقربة من الإدارة الفرنسية، مثل: الشيخ بن قانة[4]، الباش آغا سماتي، الباش آغا الهاشمي، القاضي بن ساسي، والقاضي شريف بن حبيلس، إلى جانب عدد من القادة المحليين المعروفين بعلاقتهم الوثيقة مع السلطات الاستعمارية.[5]

---

[1] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939م)، المرجع السابق، ص: 376.

[2] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 299.

[3] مروان بن تركي وفيصل بوقندورة، دراسة كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي للشريف بن حبيلس، مذكرة مقدمة للحصول على شهادة ماستر، تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة يحي فارس بالمدية، 2021-2022م، ص: 24.

[4] الشيخ بن قانة: هو بوعزيز بن بولخراص بن قانة شيخ العرب سنة 1830م، ينتمي لأسرة ذات نفوذ سياسي، وتحالف مع فرنسا، فحافظت عائلته على مكانتها خلال الاستعمار، عُرف بالدهاء وتوفي بقسنطينة عام 1864م. ينظر: فريدة شرفة، "دور بوعزيز بن قانة في دعم الاحتلال الفرنسي في إقليم الزيبان من خلال المكتب العربي (1844-1864م)"، **مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 8، ع 2، جامعة باتنة 1، الجزائر، ديسمبر 2023م، ص ص: 180-182.

[5] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص ص: 299-300.

المبحث الرابع: تطور مواقف بن حبيلس الفكرية والسياسية

لو لم يؤسس شريف بن حبيلس رابطة أحباب فرنسا سنة 1937م، لكان من الممكن اعتبار بداية تحوله من الفكر المتطرف إلى الفكر المعتدل قد بدأت في أوائل الثلاثينيات، لكن تأسيسه لهذه الرابطة يجعل من الصعب التأكيد على هذا التحول، ممَّا يدل على وجود نوع من التردد في مواقفه وعلى الصراع الداخلي الذي كان يمر به، ويمكن ملاحظة هذا التدرج نحو الاعتدال من خلال ما نقله عبد الكريم بوصفصاف[1] عن أحد مقالاته، والذي عبّر فيه عن موقفه من الاستعمار الفرنسي، وسيتضح هذا أكثر من خلال النقاط التالية:

1- موقف بن حبيلس من الإمام ابن باديس والإصلاحيين:

يظهر موقف شريف بن حبيلس الداعم للإمام عبد الحميد بن باديس من خلال مقال اطّلع عليه عبد الكريم بوصفصاف، ونُشر في جريدة "لو رابيل" (Le Rappel) بمناسبة تجمع نُظم يوم 31 ماي 1941م في الجامع الكبير بالعاصمة، والذي جمع بين المرابطين وأتباعهم من جهة، وبين السلطات الفرنسية من جهة أخرى، وكان هدفه الدعاء بانتصار فرنسا على أعدائها (الألمان) في أوروبا، في هذا السياق كتب بن حبيلس مقالًا بعنوان: "اكتراث المعسكر الآخر"، عبَّر فيه عن انتقاده للمرابطين ممَّا يعكس وقوفه إلى جانب الحركة الإصلاحية التي كان يمثلها ابن باديس.

وفي هذا المقال قال شريف بن حبيلس: "... إنَّ الجزائر قد بلغت في الانحطاط درجة لم يسبق لها مثيل في الميدان الفكري والثقافي ووصل بها الحال إلى الركود التام أو الموت الحتمي، فالتعليم العالي الذي كان متركزًا في الزوايا لم يتغير منذ قرن من الزمن، وجهل اللغة العربية قد نمت جذوره خاصة في الأرياف لم يسبق للوطن الجزائري أن غاص في ظلام الجهل مثلما وصل إليه في العهد الأخير، حين أصبح المسلم في هذا القطر يرفع يديه متضرعا إلى الله بالنصر لأولئك الذين انتهكوا مقدسات الإسلام وحطموا الرموز الوطنية ليقيموا مكانها كنائسهم وتماثيلهم...".[2]

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف: هو واحد من أبرز المؤرخين الجزائريين، عرف باهتمامه الكبير بالتاريخ الوطني، خاصة تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية. كتب العديد من الدراسات التي جمعت بين التاريخ والفكر، وكان أستاذًا في عدة جامعات جزائرية، وساهم في تكوين الكثير من الطلبة والباحثين في هذا المجال. ينظر: عبد الله مقلاتي، بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، د.ط، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2018م، ص: 4.

[2] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص ص: 300-301.

كما يظهر من خلال هذا المقال تقدير شريف بن حبيلس لفكر الإمام عبد الحميد بن باديس، خاصةً فيما يتعلق بدعوته إلى تحرير الشعوب من الاستعمار من خلال الوعي والتعليم، وجاء في مقاله: "... كان لابن باديس فكرة صحيحة، وهي أنَّ الحكم النهائي لأي شعب لا يمكن أن يكون إلا من شعب متنور، وبرنامج العمل في التجديد فقد وضعه ابن باديس في بداية الحركة، ونقطته الرئيسية هي التعليم...".

ويُظهر بن حبيلس إعجابه الكبير بابن باديس من خلال قوله: "... ومنذ أن وضع ابن باديس برنامج التجديد أخذ يهاجم جميع المعتقدات الملفقة والقوة الرجعية في البلاد بلا هوادة، ويهاجم بكل شجاعة جميع الأحكام المسبقة على مستوى الآراء التي هي العدو الأساسي للشعب: الذي يحب الشيخ محبة جنونية، لأنَّه كان متأكدا أنَّ هذا الأخير محل ثقة، وقد رحل في أحرج الظروف ووطنه في حاجة ماسة إليه، وخصومه يعلمون مدى خسارة العالم الإسلامي... إنّ ذكرى وفاة ابن باديس هي أعز الذكريات لدى المجتمع الجزائري، لأنَّها ذكرى رجل شريف ومواطن صالح...".[1]

2- مواقفه الفكرية والإصلاحية تجاه المجتمع والأسرة:

يُعتبر شريف بن حبيلس من المُثقفين القلائل من أبناء الجزائر الذين استطاعوا فهم وضع المسلمين في تلك الفترة، وتميز بجرأته في طرح أفكاره بكل حرية، وقد عبَّر عن آرائه الإصلاحية من خلال مقالاته في جريدة "لو رابيل"، حيث قدّم عدة اقتراحات بنّاءة كان من الممكن أن تُساهم في تحسين أوضاع المجتمع الجزائري لو تمَّ الأخذ بها.

في العدد الأخير من الصحيفة، حاول شريف بن حبيلس أن يوجه القُرّاء نحو مستقبل أفضل، من خلال توضيح أهم النقاط التي يجب التركيز عليها لإصلاح الأوضاع والسير نحو آفاق جديدة، كانت نيّته صادقة، وكعادته اعتمد في طرحه على العقل والمنطق، وقد عبَّر عن هذا التوجه في مقاله قائلًا: "... غدًا، ستكون احتياجاتنا، وأفكارنا، وطموحاتنا مختلفة تمامًا عمَّا كانت عليه بالأمس، ستُطرح من جديد مشكلات قديمة، وستظهر أخرى بنفس القدر من التعقيد ولكن في أشكال غير متوقعة، بالطبع، لا توجد مشاكل مستعصية إذا نظرنا إليها من منظور المصلحة العامة وبفهم عقلاني...".[2]

---

[1] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 301.

[2] La Voix Indigéne, "Journal D'Union Franco-Musulmane", No. 497, 12e Année, Alger, Jeudi 8 Février 1940, P: 1.

كان بن حبيلس يُؤكد أنَّ المشكلات لا تُحل بالشعور فقط، بل تتطلب جهدًا حقيقيًا كما قال: "... لكن للأسف، هناك مشكلات لا يكفي الشعور وحده لحلها، إنَّ الأمل الأكثر إشراقًا يبقى غير مجدٍ إذا لم نكن مدفوعين منذ الآن بالإرادة الحقيقية لبذل أفضل جهدنا لتحقيق مصيرنا، بالعمل المكثف والصبر، مصحوبين بقوة خلاقة دائمة لا تتوقف عند التأمل البسيط في ماضي باهت...".

كما عبَّر عن رأيه في الحضارة والماضي بقوله: "... إنَّ الحضارة الإسلامية التي أضاءت مشعلها في القرون الغابرة قد انتهت، السلام على ذكراها، الحضارة الغربية، وهي النقيض المطلق لحضارتنا، هي التي تسود العالم اليوم...".

أكَّد شريف بن حبيلس بأسلوب واضح وبسيط على أهمية الإصلاح، ودعا الأهالي إلى التفاعل معه بجدية، حيث قال: "... نأمل أن يستجيب الأهالي، الذين لا يظهرون حماسا كافيًا تجاه الإصلاحات، إلى نداءه وأن ينضموا إلى رأيه في أسرع وقت. سيكون من المحزن إذا لم يتحركوا لهذا النداء الحاسم، وإذا لم يتبعوا القاضي، الذي هو الوكيل المكلف من القرآن نفسه بقيادة المؤمنين في الطريق الصحيح...".

أمَّا بخصوص الأسرة، فقد اعتبر بن حبيلس أنّ تربية الأبناء هي أساس بناء المجتمع، وقال: "... إنّ المجتمع يبدأ من الأسرة، وبالتالي فإنّ تربية أبنائنا ستكون ثورة محمودة، بل ربما تكون الثورة الأهم على الإطلاق...".

كان شريف بن حبيلس يرى أنَّ التغيير في مجال التربية ليس بالأمر السهل، خاصةً في ظل الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمعه. فهو اعتبر أنَّ الأسرة المسلمة، لم تكن جاهزة أو مأهلة لتطبيق أساليب التربية الحديثة التي تعتمد على الحوار والتفاهم بين الوالدين والأبناء. فالأب، رغم الاحترام والمكانة التي يحظى بها تقليديًا في المجتمع، لم يكن يمتلك السيطرة الكاملة أو التأثير الفعلي في توجيه أبنائه، لأنَّهم غالبًا ما كانوا يتجاهلون نصائحه ولا يلتزمون بها. بالإضافة إلى ذلك، كان دور الأم محدودًا وضعيفًا، إذ لم تكن تتمتع بالنفوذ أو السلطة اللازمة لتشكيل سلوكيات الأبناء، الذين غالبًا ما كانوا يقللون من احترامهم لها. كل هذه العوامل أدت إلى ضعف دور الأسرة بشكل عام في تأسيس تربية حديثة وناجحة.[1]

[1] La Voix Indigène, Op. Cit, P: 1.

3- محاضرة شريف بن حبيلس "مئة عام من فرنسا في الجزائر":

في إطار تحوّله الفكري، ألقى شريف بن حبيلس محاضرة بعنوان "مئة عام من فرنسا في الجزائر" بتنظيم من "جمعية الطلبة المسلمين"[1]، كانت المحاضرة غنيّة من حيث المحتوى، وركّز فيها بشكل أساسي على فكرة "التقارب" بين الدين الإسلامي والدين المسيحي، معتبرًا أنَّ هناك تشابهًا في القيم والمبادئ بينهما.

استشهد في حديثه بكلام "سفيان التوري"[2] حيث قال: "... الأفضل أن تعمل الخير لمن يسيء إليك، لأنّ رد الخير بالخير ليس إلَّا تسوية حسابات..." ليُبيّن أهمية التسامح والتقارب بين الأديان.

ولم يقتصر حضور المحاضرة على الطلاب فقط، بل شارك فيها عدد من الشخصيات الرسمية والأصدقاء، وهو ما يعكس مكانة شريف بن حبيلس وتأثيره في الأوساط الفكرية والاجتماعية.[3]

---

[1] جمعية الطلبة المسلمين: هي جمعية أُعلن عن تأسيسها في جمعية عامة، عُقدت يوم 15 ديسمبر 1927م، وقد تشكل مكتبها من: الرئيس سالم الشاذلي، نائب الرئيس الطاهر صفر، الكاتب العام أحمد بن ميلاد، أمين المال أحمد العرابي، والأعضاء المراقبين الطاهر الزاوش والشاذلي بن رمضان. تمثلت أهدافها، حسب قانونها الأساسي، في تمتين روابط المودة والتضامن بين الأعضاء بإنشاء نادٍ ومكتبة وإصدار مجلة وعقد اجتماعات دورية، وتشجيع شباب بلدان شمال إفريقيا على إكمال الدراسة الجامعية بفرنسا، وتسهيل إقامتهم عبر الإعانات والقروض وإنشاء دار للطلبة. ينظر: لخضر عواريب، "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر (1927-1955م)"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 8، ع 24، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، الجزائر، جوان 2016م، ص: 234.

[2] سفيان التوري: أو سفيان الثوري وهو إمام كبير في الحديث والفقه، عُرف بالزهد والورع وقوة الحفظ، ولُقّب بأمير المؤمنين في الحديث، واجه الظلم بشجاعة، عاش في زمن التحول من الدولة الأموية إلى العباسية، وكان من كبار المجتهدين مع أمثال أبي حنيفة ومالك. ينظر: عبد الغني الدقر، الإمام سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، أعلام المسلمين، مج 52، ط 1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1415هـ-1994م، ص: 5، ص: 8، ص: 10.

[3] L'Écho D'Alger, "Marseille Prépare la Reprise et L'Intensification du Commerce D'Avant-Guerre Entre Algérie et Métropole", No. 11263, 30e Année, Alger, Dimanche 8 Juin 1941, P: 2.

4- المشاركة في صياغة ملحق بيان الشعب الجزائري (1943م):

من بين أهم التطورات التي شهدتها الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية، صدور بيان الشعب الجزائري[1] سنة 1943م، الذي ساهم في صياغته فرحات عباس وعدد من رفاقه، فقد أُرفق هذا البيان بملحق تفسيري سُمّي بـ "ملحق مذكرة بيان الشعب"، شارك في تحريره شخصيات مثل: بن جلول، بن خلة، الدكتور تامزالي[2]، سايح عبد القادر[3] وزروق محيي الدين.

وبالرغم من أنَّ شريف بن حبيلس المعروف بانتمائه لتيار فرحات عباس، لم يُساهم في تحرير البيان الأصلي، إلَّا أنَّه كان من بين المشاركين في إعداد هذا الملحق، حيث ورد اسمه ضمن قائمة 21 عضوًا وقّعوا عليه ممثلاً عن منطقة ذراع الميزان، وذلك بتاريخ 26 ماي 1943م.[4]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ قاصري محمد السعيد أشار إلى هذه الوثيقة باسم "أحباب البيان"، وهي تسمية قد لا تكون دقيقة، لأنَّ التسمية الأصلية المعتمدة هي "بيان الشعب الجزائري".

5- المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي والمجلس الوطني الجزائري:

شارك شريف بن حبيلس في الانتخابات التي جرت سنة 1946م، والتي حاولت فيها الحركة الوطنية مثل (حركة الانتصار، والاتحاد الديمقراطي، والحزب الشيوعي الجزائري)، الدخول إلى الحياة السياسية.

---

[1] بيان الشعب الجزائري: وثيقة سياسية صدرت في 10 فيفري 1943م، بمبادرة من فرحات عباس، ومجموعة من المنتخبين المسلمين، طالبوا فيها بحقوق سياسية ومدنية للجزائريين مستوحاة من الوثائق الجزائرية السابقة كالمؤتمر الإسلامي ومبادئ حزب الشعب، عُدَّ هذا البيان خطوة أساسية مهدت لاحقًا لتأسيس جمعية أحباب البيان والحرية سنة 1944م. ينظر: علي تابليت، فرحات عبّاس رجل دولة، ط 2، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م، ص ص: 30-31.

[2] تامزالي: هو عبد النور تامزالي، دكتور في الطب، ونائب مالي، ثم رئيس القسم القبائلي في مجلس النيابات المالية، كان من المقربين للأمير خالد في البداية، وكان ماسونيًا أيضًا رجل الرصانة والحكمة، وسياسي خبير، يكتب في مختلف الصحف ومنها الإقدام للرد على النواب الفرنسيين. ينظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 68.

[3] سايح عبد القادر: رئيس الجمعية الجزائرية (1950-1956م)، كان من أشراف مدينة الشلف، وعضوًا في المفوضيات المالية، شغل منصب رئيس الجمعية الوطنية، ثمَّ انسحب من الحياة السياسية في 1956م. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص: 192.

[4] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 301.

5-1- انتخابات المجلس التأسيسي (1946م):

في سنة 1946م، دخلت الحركة الوطنية في الانتخابات التشريعية من خلال أحزاب جديدة من أبرزها:

حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي تأسست بعد العفو الشامل، بقيادة مصالي الحاج، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بقيادة فرحات عباس، وقد واجه الحزبان عراقيل من الإدارة الفرنسية، التي رفضت قوائم مرشحيهما في عدة دوائر مثل: سطيف وقسنطينة[1]، ورغم التزوير، نجحت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في الحصول على خمسة مقاعد من أصل 15، ممَّا شجع بعض الوطنيين على مواصلة المشاركة السياسية.[2]

وفي هذا السياق، حاولت الإدارة الفرنسية استقطاب بعض الشخصيات الوطنية لدعم سياستها، مثل: علي بن شريف[3]، والقاضي شريف بن حبيلس، ما يعكس تردد هذا الأخير بين الانتماء الوطني والتقرب من الإدارة الاستعمارية.[4]

5-2- المجلس الوطني الجزائري (1951م):

في فيفري 1951م، ألقى السياسي الفرنسي "جاك شوفاليي"[5] (Jacques Chevallier) خطابًا أمام أعضاء المجلس الوطني الجزائري، عبَّر فيه عن رغبته في إنشاء اتحاد فرانكو-إسلامي حقيقي، يكون بعيدًا عن التشدد الاستعماري من جهة، والانفصال التام من جهة أخرى، كما انتقد طريقة تسيير

---

[1] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 302.

[2] يحي بوعزيز، الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1986م، ص: 88.

[3] علي بن شريف: المعروف بلقب "سي الشريف" (1924-1957م)، من أبرز مناضلي الثورة الجزائرية، بدأ نشاطه السياسي بعد أحداث 8 ماي 1945م، عُيّن قائد للولاية السادسة، كما اختير عضوًا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA) سنة 1957م. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص: 344.

[4] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 302.

[5] جاك شوفاليي: (Jacques Chevallier)، وُلد عام 1911م، كان سياسي فرنسي ينتمي إلى "الليبراليين"، انتُخب نائبًا عام 1946م، ثمَّ أصبح رئيس بلدية الجزائر سنة 1953م، دعم فكرة "الجزائر الفرنسية" بمشاركة الجزائريين سياسيًا، لكن فكرته لم تُقبل لأنَّه لم يأخذ في عين الاعتبار تطلعات الشعب الجزائري. ينظر: Achour Cherfi, Dictionnaire Biographique La Révolution Algérienne (1954-1962), Casbah Édition, Alger, 2004, PP: 103-104.

المجلس في فترته الأولى، واعتبرها فاشلة؛ الأولى كانت تسير بشكل استبدادي، والثانية بدون وعي سياسي، ولهذا اقترح البحث عن "قوة ثالثة"، أي شخصيات جزائرية معتدلة يمكنها التوسط بين الطرفين.

وفي هذا السياق، أشار محفوظ قداش إلى أنَّ شريف بن حبيلس كان من القلائل الذين تفاعلوا مع خطاب "جاك شوفاليي" (Jacques Chevallier)، في وقت فضّل فيه باقي السياسيين الصمت، حتى من داخل الاتحاد الديمقراطي، ورغم أنَّه عبَّر بتحفّظ وباللغة الفرنسية، إلا أنَّه أظهر حذرًا واضحًا حين قال: (J'entends Aussi ne pas Aller en Prison) "لا أنوي الذهاب إلى السجن"، في إشارة إلى تعقيد الأوضاع السياسية آنذاك.

6- موقفه من الثورة التحريرية (1954-1959م):

لا توجد مصادر تؤكد بشكل واضح موقف شريف بن حبيلس من اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954م، لكن من المحتمل أنَّ موقفه كان قريبًا من موقف فرحات عباس، خاصةً في بداية الثورة، حيث وصفها هذا الأخير بأنها "فوضى يائسة"، وبما أنَّ بن حبيلس كان عضوًا في مجلس الشيوخ الفرنسي، فمن المحتمل أنَّه تبنّى موقفًا معتدلًا، أو فضّل عدم التصريح به في البداية، لكن بعد أن التحق فرحات عباس بالثورة سنة 1956م، من الممكن أنَّ موقف بن حبيلس تطور هو الآخر، وأصبح أقرب إلى دعم الثورة أو على الأقل تفهّم دوافعها.[1]

المبحث الخامس: آثاره ووفاته

لم يقتصر دور شريف بن حبيلس على النشاط الإداري والسياسي، بل حاول أيضًا التعبير عن مواقفه من خلال الكتابة، فترك عددًا من المؤلفات التي تعكس رؤيته للواقع الجزائري في ظل الاستعمار، وتُظهر هذه الأعمال اهتمامه بقضايا الإصلاح الاجتماعي والسياسي، ومحاولاته لاقتراح حلول من داخل المنظومة الفرنسية. ورغم حضوره البارز في المشهدين الفكري والسياسي، فإنَّ نهاية حياته ظلَّت محاطة بالغموض، بسبب تضارب الروايات حول ظروف اغتياله.

في هذا المبحث، سنتوقف عند أهم آثاره الفكرية، ونُسلّط الضوء على ملابسات وفاته التي ما تزال محل جدل حتى اليوم.

[1] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص ص: 302-303.

1- آثاره:

ساهم شريف بن حبيلس في تأليف عدَّة كتب مهمة في مجالات مختلفة، ومن بين مؤلفاته:

1- L'Algérie Française vue par un Indigéne (1914).
2- La Protection des Mineurs Indigénes en Algérie (1924).
3- La Suppression des Pouvoirs Juridictionnelles du Cadi (1924).
4- Débats Parlementaire Interventions (1954).[1]
5- Bilan de Cent Ans de France.
6- Où en Sommes-nous?.
7- Âmes Frontières (Histoire d'un Déraciné).[2]

بالإضافة إلى هذه الكتب، ألَّف كتيبًا صغيرًا بعنوان: (Où va la France en Algérie?) "بلغ عدد صفحاته 60 صفحة"، عرض فيه رؤيته حول اندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي بالجزائر، وشرح كيف يمكن تحقيق الاندماج السياسي والاجتماعي بين المسلمين الفرنسيين، وأكَّد في كتابه على أهمية تعاون النُخبة الجزائرية مع فرنسا لتحقيق هذا الهدف.[3]

ومن المعروف أنَّ شريف بن حبيلس شخصية مهمة في الأدب الجزائري، ولهذا أطلقت مؤسسة الحي الثقافي كتارا القطرية، "جائزة كتارا للرواية العربية" (Katara Prize for Arabic Novel) باسمه، لتشجيع الأدب العربي وتكريم رواد الفكر والثقافة.[4]

2- وفاته:

رغم الجهود التي بذلناها في تتبع نهاية شريف بن حبيلس، إلا أنَّ المعطيات المتوفرة حول وفاته تبقى محدودة ومتضاربة.

تُشير بعض المصادر الصحفية بأنَّ شريف بن حبيلس قد اغتيل في 29 أوت 1959 بمدينة "فيشي"[5] (Vichy)، في ظروف غامضة لم يُكشف عنها بشكل واضح، وقد فتحت هذه الحادثة المجال أمام عدة تأويلات وتساؤلات، خاصةً في ظل الأوضاع السياسية الحساسة التي كانت تمر بها الجزائر خلال تلك الفترة.

---

[1] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 303.

[2] دويدة نفيسة، المرجع السابق، ص ص: 89-90.

[3] La Bréche, Op. Cit, No. 250, 11e Année, Mercredi 18 Octobre 1930, Alger, P: 3.

[4] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 303.

[5] GGA, Journal Officiel de la République Française, Op. Cit, P: 726.

وهناك من يرى أنَّ جبهة التحرير الوطني هي من نفذت العملية بسبب دعمه لما عُرف آنذاك بـ"القوة الثالثة"، وهي فكرة كان يروج لها الجنرال "ديغول"[1] (De Gaulle) وتقوم على إيجاد طرف جزائري وسيط لا هو مع الاستعمار ولا مع الثورة.

بالمقابل، هناك من يتهم السلطات الفرنسية باغتياله، خاصة بعد أن بدأ في التواصل مع فرحات عباس، الذي التحق بالثورة سنة 1956م، وهو ما جعل من شريف بن حبيلس شخصية غير مرغوب فيها من الطرفين.

تدعم بعض الروايات هذه الفرضيات، مثل ما جاء على لسان المؤرخ محمد حربي الذي ذكر أنَّ القيادة الثلاثية لفيدرالية فرنسا التابعة لجبهة التحرير هي من أمرت باغتياله بعد اكتشاف دعمه لمشروع "القوة الثالثة".

أمَّا الكاتب رابح بلعيد، فيربط الأمر بخلافات داخلية أعمق، ويتحدث عن دور بعض الشخصيات مثل (بوصوف[2]، بن طوبال[3]، كريم بلقاسم[4]) في اتخاذ قرار الاغتيال، بموافقة ضمنية من

---

[1] ديغول: هو شارل ديغول، رجل دولة فرنسي وُلد سنة 1890م وتوفي سنة 1970م، تولى قيادة الفرنسيين الأحرار في لندن، وترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني عام 1943م، والتي تحولت إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية، لم يكتف فقط بالوقوف أمام مطالب الأحزاب الوطنية، لكنه بدافع إنقاذ الإمبراطورية قمع المظاهرات السلمية للسكان الجزائريين سنة 1945م. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص: 171.

[2] بوصوف: يُعد عبد الحفيظ بوصوف من أبرز قادة الثورة الجزائرية، بدأ نضاله مبكرًا في حزب الشعب، ثم انضم إلى المنظمة الخاصة وتولى مسؤولية دائرة سكيكدة، ساهم في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وأصبح عقيدًا في الولاية الخامسة بعد مؤتمر الصومام، لعب دورًا محوريًا في جبهة التحرير الوطني، وكان عضوًا في لجنة التنسيق والتنفيذ ووزيرًا للتسليح والعلاقات العامة. ينظر: عاشور شرفي، المرجع السابق، ص: 91.

[3] بن طوبال: هو عبد الله بن طوبال من أصل عربي وشارك في الثورة من بدايتها، يُشير إليه أصابع الاتهام في قتل زيروت أحمد ليحل مكانه في قيادة الولاية، كان مكروهًا من أهل ولاية قسنطينة منذ لقائه ببورقيبة بعد إعلان تشكيل الحكومة، حيث كان يكرر ويدافع عن آراء بورقيبة، يُعتبر كسولاً وخاملًا، وأفكاره محدودة. ينظر: فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط 1، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، مصر، 1984م، ص: 392.

[4] كريم بلقاسم: هو قبلي محدود التأثير لكنه يستمد قوته من كونه آخر القادة الأوائل للثورة الذين ما زالوا أحياء أو خارج السجن، ينتمي إلى قبيلة من بلاد القبائل، ولا يتردد في التخلص من أي شخصية قوية تعترض طريقه للسيطرة على الثورة. ميوله تجاه مصر غير واضحة، وهو يفكر بعقلية قبلية وعنصرية، ويجمع حوله عناصر من قبيلته فقط. بسبب عنصريته وعدم تنظيم مجاهديه بشكل جيد، كان مكروهًا من قادة الجبهة الشرقية. ينظر: نفسه، ص: 392.

أحمد فرانسيس[1] والأمين دباغين.[2]

أمَّا الكاتب أحمد مريوش، فقد أشار إلى أنَّ رجال من جبهة التحرير هم من نفذوا العملية، دون أن يوضح الأسباب بشكل مفصل.[3]

وهكذا، تبقى نهاية شريف بن حبيلس غير واضحة، وهو ما يعكس بطريقة ما صعوبة الطريق الذي اختاره بين العمل داخل الإدارة الاستعمارية ومحاولة خدمة قضايا وطنه في نفس الوقت. فقد كان يمثل نموذجًا لنُخبة حاولت التوازن بين الجانبين، لكن هذا الموقف لم يُرضِ لا السلطات الاستعمارية ولا قادة الثورة.

[1] أحمد فرانسيس: هو طبيب وسياسي جزائري وُلد في 12 نوفمبر 1910م بمدينة غليزان، وينحدر من عائلة أصلها من مليانة، درس الطب واستقر في سطيف، واشتهر بعلاقته القوية بفرحات عباس، ناضل خلال فترة (1943–1956م) من أجل استقلال الجزائر بطريقة سلمية مؤمنًا بفكرة التغيير عبر القانون ورفض العنف. ينظر: خالد بوهند، "مقاربة حول القيادة السياسية والفعل الجماعي بين فرحات عباس وأحمد فرنسيس (1943–1956م)"، **مجلة المرآة للدراسات المغاربية**، مج 3، ع 6، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2017م، ص ص: 165–167.

[2] الأمين دباغين: هو محمد الأمين دباغين، كان عربي الأصل، متدين، وطني مخلص لكنه كان مترددًا ومتشككًا كثيرًا، كان محل ثقة المجاهدين في الداخل، لذلك لم يتخلى عنه المسؤولون الجزائريون واستفادوا من وجوده في الحكومة لإقناع الجيش بصحة توجهات الحكومة، كان يرى أنَّ الثورة أكبر من الأفراد، وينادي بضرورة الاستعانة بخبرات المسؤولين المصريين لمواجهة السياسة الفرنسية. ينظر: فتحي الديب، المرجع السابق، ص: 393.

[3] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 303.

جدول يُلخص أبرز المحطات في المسار الشخصي والعام لشريف بن حبيلس

التاريخ/السنة	الحدث أو النشاط	ملاحظات إضافية
25 ديسمبر 1891م أو 1885م	ولادة شريف بن حبيلس	روايات متضاربة حول السنة والمكان
1908م	تأسيس لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين	كان من الأعضاء البارزين فيها
بداية القرن العشرين	نشاطه في نادي صالح باي	شارك في تنظيم التعليم والمحاضرات والجمعيات الخيرية
1912م	تأسيس حركة الشُبان الجزائريين	كان من المؤسسين ورئيس الحركة
1914م	نشر كتاب (L'Algérie Française vue par un Indigéne)	يُعد من أبرز مؤلفاته الفكرية
1927م	حصوله على وسام (Chevalier de D'Honneur Légion)	أُشيد به في جريدة المستضعفين
24 مارس 1919م	ترقيته إلى منصب قاض وموثق بمدينة بريغوتفيل	يعكس الثقة في مؤهلاته، ويُظهر مساره المهني المتميز داخل الإدارة الاستعمارية
أواخر عشرينيات القرن العشرين	تأسيس فدرالية منتخبي عمالة قسنطينة	تولى منصب الأمين العام، وشارك في نشاط سياسي واجتماعي

1937م	تأسيس رابطة أحباب فرنسا	شارك مع شخصيات مقربة من الإدارة الفرنسية
16 نوفمبر 1938م	انتخابه عضوًا في الوفد المالي عن الدائرة السادسة للقبائل في منطقة باليسترو	عُين ضمن هيئة استشارية مالية تمثل الأهالي، وقد حظي هذا الحدث بترحيب محلي
1943م	المشاركة في صياغة ملحق بيان الشعب الجزائري	وقع باسم منطقة "ذراع الميزان"
1946م	المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي	ممثلًا للتيار السياسي المعتدل
1951م	انضمامه إلى المجلس الوطني الجزائري	كان له حضور في النقاشات السياسية
(1954–1959م)	فترة الثورة التحريرية	لم يُعلن موقفًا رسميًا، لكنه تأثر بفرحات عباس
29 أوت 1959م	اغتياله في مدينة فيشي الفرنسية	تعددت الروايات حول الجهة المنفذة (جبهة التحرير، فرنسا، القوة الثالثة)

الخلاصة:

في هذا الفصل، تناولنا أبرز المحطات في حياة شريف بن حبيلس، بداية من أصوله العائلية ونشأته في وسط محافظ يهتم بالعلم، مرورًا بتكوينه العلمي الذي ساعده في دخول مجال الإدارة والقضاء، وصولًا إلى نشاطه السياسي والاجتماعي، الذي عبّر من خلاله عن آرائه الإصلاحية خاصة فيما يتعلق بالأسرة والمجتمع.

وقد كشفت مسيرته عن شخصية معقدة ومتعددة الأبعاد، إذ لم تكن مواقفه دائمًا معتدلة، بل تراوحت أحيانًا بين الاعتدال والتطرف حسب طبيعة المرحلة والضغوط المحيطة به، وهو ما جعل حضوره محط جدل بين مختلف الأطراف.

وجاءت نهاية حياته لتزيد من غموض شخصيته، حيث اغتيل في 29 أوت 1959 بمدينة فيشي الفرنسية، في ظروف لم تتضح حقيقتها إلى اليوم. وقد تعددت الروايات حول الجهة التي تقف وراء اغتياله، بين من اتهم جبهة التحرير الوطني بسبب مواقفه المخالفة للخط الثوري السائد آنذاك، وبين من حمّل السلطات الفرنسية المسؤولية بسبب اتصالاته المتزايدة مع بعض الشخصيات الوطنية.

الفصل الثالث: دراسة كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية

المبحث الثالث: القيمة السياسية للكتاب

تمهيد:

يُعدُّ كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" وثيقة نادرة تُسلّط الضوء على واقع الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية بعيون جزائري معايش للأحداث، ومن خلال هذا العمل، حاول شريف بن حبيلس تقديم نظرة تحليلية للأوضاع السائدة آنذاك، سواء من حيث التنظيم الاجتماعي أو الوضع الاقتصادي والسياسي والعسكري، وقد سعى الكاتب إلى تقديم تصور عام للأوضاع كما بدت له من موقعه داخل الإدارة الاستعمارية، متأثرًا بخلفيته النخبوية وتكوينه الثقافي.

لكن، ورغم أهمية هذا الكتاب كمصدر تاريخي، إلا أنَّ قراءته تُثير عدّة تساؤلات حول مدى تمثيله للواقع الحقيقي، خاصةً في ظل نبرته المتفائلة وميله إلى تقديم صورة مثالية أحيانًا عن العلاقة بين المستعمر والمستعمَر.

فهل استطاع شريف بن حبيلس من خلال هذا الكتاب أن يُعبّر عن واقع المجتمع الجزائري بكل صدق وعمق؟ أم أنَّ رؤيته كانت محدودة بإطاره الاجتماعي والنخبوي، ممَّا جعله يُغفل الكثير من المعاناة اليومية التي كان يعيشها الجزائريون؟

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية

أُلِّف الكتاب في الأصل باللغة الفرنسية من طرف شريف بن حبيلس، وصدر لأول مرة سنة 1912م تحت عنوان: "L'Algérie Française vue Par un Indigène"، وقد تُرجم إلى اللغة العربية بواسطة فريق من المترجمين ضمَّ كلا من: عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، والنسخة التي بين أيدينا صدرت عام 2012م من قبل دار المسك بعنوان "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي".

من ناحية الشكل، يتميز الكتاب بحجمه الصغير، حيث بلغ عدد صفحاته 244 صفحة. وجاءت واجهة الكتاب تحمل العلم الجزائري في الخلفية، يتوسطه عنوان الكتاب، حيث كُتب الجزء الأول من العنوان بخط كبير أحمر اللون، بينما كُتب الجزء الثاني بخط صغير بنفسجي اللون، يتصدر الواجهة اسم المؤلف بخط صغير بنفسجي اللون، وعلى يمينه شعار وزارة المجاهدين، وفي الجهة السفلية اليسرى أسماء المترجمين.

أمَّا بشأن محتوى الكتاب، فيضم قسمين:

- الأول: يحتوي على القضايا والمواضيع المختلفة التي تطرق إليها شريف بن حبيلس.
- الثاني: يتضمن المحاضرات التي أُلقيت معظمها بنادي صالح باي من قبل السيد المولود بن الموهوب.

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية

يتكوّن كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" من جزأين:

الجزء الأول: (من الصفحة 13 إلى الصفحة 176):

استهل شريف بن حبيلس كتابه بمجموعة من الأقوال الشخصية والتاريخية، كان من بينها مقولة للمولود بن الموهوب الذي حثَّ المسلمين على النهوض ضد الذل والانحطاط ودعاهم إلى العمل من أجل التطور، قال: "... لابد من الشروع في العمل حالًا، فلا مهرب من الاعتراف بأنَّنا بلغنا الدرك الأسفل من أنواع الانحطاط...".[1]

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 23.

تشكلت المقدمة من 6 صفحات، تضمنت رسالة امتنان وشكر من طرف "جورج مارسيه"[1] (Georges Marçais)، عبَّر فيها عن إعجابه بشريف بن حبيلس، معترفًا بإنجازاته التي ساهمت في الكشف عن الواقع الذي يعيشه المجتمع الجزائري، ثم يثني على النُخبة التي كانت بالنسبة إليه حلقة وصل بين العالم الأوروبي والعربي.

بعدها كشف الكاتب عن الدوافع التي أدَّت به إلى تأليف كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، معتبرًا في تمهيده أنَّه من الضروري إصدار حكم عام وغير منحاز حول الإنجاز الاستعماري في تكوين وتعليم الجزائريين.

وقد عبَّر صراحةً عن اعترافه بالفضل الفرنسي عليه قائلًا: "... هذا الحكم هو اعتراف لأحد الأهالي الجزائريين الشباب..."[2]، والأدهى من الأمر أنَّه اعتبر أنَّ فرنسا هي السبيل الوحيد الذي وجهته نحو طريق الصواب والحق، مشيرًا إلى أنَّ شهادته قد تحوي أخطاءً وعيوبًا، تعكس الحقيقة والواقع، قائلًا: "... سواءً أكانت خاطئة، متسرعة، ذات ثغرات أم ليست كذلك، ستكون شهادة حاملة للاستحقاق الذي لا ريب فيه، الذي نشيد به بصوت عالٍ: الحقيقة والصراحة...".[3]

1- الفصل الأول: الأمن (من الصفحة 21 إلى الصفحة 30):

في هذا الفصل، ناقش شريف بن حبيلس مسألة الأمن في الجزائر، فهو لم يتناولها في فترة الوجود الاستعماري، بل عاد إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي، أي فترة التواجد العثماني، حيث قام بالتحدث عن أوضاع الجزائر خلال تلك الفترة الزمنية، واصفًا إياها بأنَّها كانت بؤرة للفوضى والشر. وقد اعتمد في قوله على مجموعة من الأمثلة عن أعيان الدولة العثمانية، منهم بوعكاز بن عاشور، الذي عُرف بطغيانه واستبداده على رعاياه، حيث قال بن حبيلس عنه: "... بوعكاز بن عاشور، حاكم فرجيوة، مثلاً واصل حتى يوم تهجيره ممارسة حق القتل على رعاياه، فكان يحدث أن يرمي بمعينيه في

[1] جورج مارسيه: (1876–1962م)، هو جورج ألفريد مارسيه، ومستشرق ورسَّام ومؤرخ فرنسي، سليل أسرة من الطبقة البورجوازية ضمت ثلة من الفنانين والأدباء، وُلد في مدينة رين بمقاطعة بريتاني، شمال غربي فرنسا، يوم 11 مارس 1876م. يُنظر: محمد لطفي الزليطني، جورج مارسيه (Georges Marçais)، ط 1، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2021م، ص: 15.

[2] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 19.

[3] نفسه، ص: 20.

واد بوصلاح لمجرد غيابهم عن الاجتماع مثلًا..."[1]، واصفًا إياه بالوحش الذي نشر الرعب في نفوس أهل منطقة قسنطينة.

ثم وجَّه شريف بن حبيلس عدَّة انتقادات لمن دافع عن الدولة العثمانية، معتبرًا أنَّ أقوال بعض منهم تحتوي على تحريفات ومغالطات تاريخية، ووجَّه حديثه لمن يقوم بتعداد الأخطاء والجرائم في ظل الوجود الفرنسي، وينفي كل ما سبق بقوله: "... أمَّا الحقيقة فهي أنَّ عدد الجرائم يؤول إلى النقصان...".[2]

ومن جهة أخرى، سلَّط شريف بن حبيلس الضوء على الظلم الذي تمارسه الإدارة الفرنسية في مسألة الأجور، مقدّمًا مثالًا حيًا، حيث إنَّ الموظف الفرنسي يتقاضى الأجر العالي، بينما الجزائري الذي يقوم بالعمل الجاد ويحظى بثقة رؤسائه يتقاضى أجرًا قليلًا، وقد عبّر المؤلف عن رفضه لهذا الأمر بقوله: "... أمَّا العمل نفسه فيقتضي الأجر نفسه...".[3]

2- الفصل الثاني: التعمير (من الصفحة 33 إلى الصفحة 41):

في هذا الفصل، تطرق شريف بن حبيلس إلى مسألة الاستيطان والهجرة الأوروبية وحتى الجزائرية، والعلاقة بين الأوروبيين والجزائريين، حاول الأخير طرح فكرة التعايش السلمي[4] بين المعمرين والأهالي، التي تقوم على المصلحة والهدف المشترك، والغاية الواحدة وهي الزراعة. ثم انتقل إلى مسألة الهجرة الجزائرية إلى سوريا، وقد وظَّف اعتراف أحد المعمرين الفرنسيين، الذي يُقر فيه بالدور الحاسم الذي لعبه العمال الجزائريون في دعم الاقتصاد الزراعي للمستعمر، قائلًا: "... إنَّه اعتراف صريح وقوي يسكت كل من تُخوَّل له نفسه نكران فضل الأهالي في دفع عجلة التنمية الاقتصادية...".[5]

---

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 24.

[2] نفسه، ص: 27.

[3] نفسه، ص: 29.

[4] التعايش السلمي: يعني العيش المشترك بين أطراف مختلفة في الدين أو الثقافة أو العرق، يقوم على التفاهم والاحترام، ويهدف إلى تقليل الصراع وفتح قنوات التواصل. وهو لا يقتصر على العلاقات بين الدول، بل يشمل أيضًا الشعوب، ويُعد ضرورة لضمان الاستقرار والتعاون داخل المجتمعات المتنوعة. ينظر: عبد العزيز علي الجمالي، "التعايش السلمي"، **مجلة الجامعة الوطنية**، مج 3، ع 15، الجمهورية اليمنية – صنعاء، ديسمبر 2020م، ص: 81.

[5] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 34.

في نفس الوقت عبَّر عن رؤيته التي تتمحور حول أنَّ فرنسا لها كامل الحق في تراب الجزائر، وذلك بسبب إسهامات المستوطنين، متجاهلًا السياسة الفرنسية في الاستغلال حيث قال: "... لهذا نرى فرنسا جديرة بالتراب الجزائري بفضل أعمال أبنائها وإنجازاتهم...".[1]

ثمَّ ينتقل المؤلف إلى طرح فكرة تحسن الأوضاع الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية مستشهدًا ببعض الأمثلة قائلًا: "... أنَّ الفلاح، وبفضل جوار المعمر الفرنسي قد أصبح يلبس أفضل ممَّا تعود عليه..."[2]، غير أنَّه سرعان ما يكشف إخفاقات الفرنسيين في عدم قدرتها على حماية حقوق الجزائريين من طرف السماسرة والمضاربين.

3- الفصل الثالث: المدرسة (من الصفحة 43 إلى الصفحة 58):

يناقش شريف بن حبيلس في هذا الفصل سياسة التعليم خلال الفترة الاستعمارية، كونها جزءًا من الإصلاحات الفرنسية المزعومة، والتي جاءت كرد فعل لما وصفه تخلف المجتمع الجزائري قبل التواجد الاستعماري، مبررًا ذلك لحاجة الإدارة الفرنسية إلى عدد كبير من الموظفين الجزائريين لتسيير الأمور في الجزائر، وقد استند على فكرة: "... تعليم الغالب للمغلوب...".[3]

ثمَّ يتطرق إلى تطور التعليم الفرنسي، ورد فعل الأهالي تجاه السياسة التعليمية، مع تقديم أمثلة توضيحية حول ذلك ونذكر منها قوله: "... ثمَّ إنَّ الملاحظ هو أنَّ تواجد المدارس الفرنسية لم يعد يقابل بتلك الفجوة القديمة، القاضي الناطق بحكمه وسط الجموع إثر المرافعة، مساعد الطبيب المداوي في عيادته، المعلم الذي يعلم أبناء "الدوار"، الخوجة الذي يترجم الوثائق في مكتب الحاكم... كل هؤلاء أصبحوا يبدون للفلاح الأمي أناسًا اكتسبوا معارف خولت لهم شغل هذه المناصب...".[4]

ثمَّ يطرح مشكلة البطالة التي يعاني منها الشباب المُتخرج من المدارس الفرنسية، موجهًا نقده المباشر للسياسة الفرنسية التي تكاسلت عن عملها في إنشاء المدارس في العديد من المناطق، مقدمًا لنا نماذج منها سكيكدة مثلًا عن هذا الإهمال، ويشير إلى تباين المواقف حول قضية التعليم.

---

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 34.

[2] نفسه، ص: 38.

[3] نفسه، ص: 46.

[4] نفسه، ص ص: 47-48.

الموقف الأول: يتمثَّل في تيار يرى أنَّ الأولوية تكمن في بناء نُخبة مُثقفة ومُتعلمة، حتى لو لم يتمكن من إقناع أصحاب القرار بهذا التوجه.

أمَّا الموقف الثاني: فيتمثل في تيار يدعو إلى تعميم التعليم ونشره على نطاق واسع، باعتباره ركيزة أساسية لبناء الحضارة وتقدم المجتمع.

يكشف شريف بن حبيلس من جهة أخرى عن حالة التمييز الواضحة بين الأوروبيين والأهالي، متسائلًا بلسان حاله: "... إذا كان الحق واحدًا، فلماذا نجد برنامجين للتعليم؟ واحد للأوروبيين وآخر للأهالي؟...".[1]

كما يُوجّه في نفس الوقت انتقادًا لاذعًا للمدارس المخصصة للأهالي، واصفًا نتائجها بـ "الحقيرة" بسبب المستوى التعليمي المتدني. ورغم ذلك، يبرر أنَّ النتائج المتحصلة عليها أفضل ممَّا كانت عليه قبل عشرين سنة مضت، ويختتم حديثه بإبداء إعجابه الصريح بالمُؤسسات التعليمية الفرنسية رغم عيوبها.

4- الفصل الرابع: البلديات المختلطة (من الصفحة 59 إلى الصفحة 85):

يغطي هذا الفصل 27 صفحة، تناول فيها شريف بن حبيلس نظام البلديات المختلطة بالتفصيل، كونه أحد الأمور الأساسية لنجاح البرنامج السياسي والإقتصادي للإدارة الفرنسية. ويُسلط المؤلف الضوء على المواقف المختلفة من هذا النظام، التي تتأرجح بين الرافض له والقابل له، بقوله: "... ومن كل جهة ومن كل تنظيم يُقدمون المدح والإطراء لهؤلاء أو الشتائم واللعن لأولئك..."[2]، معترفًا بأنَّه عاش في ظل هذا النظام.

ثمَّ يستعرض التسلسل الهرمي لهذا النظام، بدءًا من منصب الحاكم العام، مرورًا بمُوَظف القايد أو نائب الأهالي، حيث يبدأ حديثه عن منصب نائب الأهالي، فيذكر أنَّ شغله لهذا المنصب يتطلب شروطًا محددة من قبل الحاكم العام، واصفًا لباس صاحب المنصب المُكون من برنوس وقماش قرمزي، وأبرز مهامه جمع وتسيير الضرائب، بالإضافة إلى تكليفه بالحفاظ على أمن المعمرين، وكذلك الجزائريين.

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 55.

[2] نفسه، ص: 61.

إلى جانب ذلك، كان يتولى فض النزاعات والخلافات ضمن نطاق سلطته، ويكشف عن الثغرات التي يعاني منها هذا المنصب (نائب الأهالي)، فيشير إلى أنَّ معظم من تولوا هذا المنصب كانوا يُعانون من مشكلة الأُمية والجهل بالقوانين الفرنسية، وأنَّ الكثير منهم كما يذكر قائلًا: "... لا يزالون يضعون علامة (+) مكان التوقيع ...".[1]

ولم يتوقف عند ذلك، بل كشف عن تجاوزات بعض الموظفين، مثل: الرشوة التي أصبحت شيئًا طبيعيًا في تلك الفترة، معبرًا عن رفضه لمثل هذه السلوكيات، وداعيًا إلى اتخاذ إجراءات رادعة ضدها.

لم يتوقف شريف بن حبيلس عند هذا الحد، بل وسَّع نطاق نقاشه ليشمل وجهات النظر حول مسألة الرشوة والفساد، فقد ميَّز بين فئتين من القُياد الجزائريين: الأولى ترفض هذه الممارسات من حيث المبدأ، لكنها لا تتخذ أي إجراء رادع على أرض الواقع، أمَّا الفئة الثانية من القُياد، فكانت تكتفي بالمطالبة بالتعويضات أو بالخدمات مقابل أعمالهم.

وفي نفس السياق، يربط المؤلف كل هذه السلوكيات بالدولة العثمانية، موضحًا أنَّ الإدارة الفرنسية لها العلم بكل ما يحدث، لكنها تتغاضى عن الأمر ما دام لم يؤثر في استقرار الأمن، كما عبَّر عن أسفه لما أصبحت عليه الأوضاع قائلًا: "... الوضع اليوم كالح للأسف الشديد...".[2]

وفي المقابل، ينتقد الطريقة التي تبنتها الإدارة الفرنسية في تعيين الموظفين الجزائريين، بحيث يتم منح هذه المناصب لأبناء العائلات ذات المكانة المرموقة، دون الأخذ بالكفاءة والخبرة. ثم يوجه حديثه إلى الحاكم العام، الذي يُعد في نظر شريف بن حبيلس، مثالًا يجب الاقتداء به، غير أنَّ الواقع يخالف هذا التصور، كما أشار بقوله: "... فكثيرون لا دور لهم سوى الدور الذي تلعبه علبة البريد...".[3]

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 64.

[2] نفسه، ص: 75.

[3] نفسه، ص: 80.

5- الفصل الخامس: أوراق الشعب الجزائري (من الصفحة 87 إلى الصفحة 109):

يمتد هذا الفصل عبر 23 صفحة، يناقش فيه شريف بن حبيلس مسألة التقسيم الاجتماعي في الجزائر، ويستعرض الفئات المُكونة له من القبائل والكراغلة[1]، محاولًا نفي الوجود العربي، وموضحًا أنَّ كل هذه الفئات كانت سابقًا تعتنق الوثنية ثم اعتنقت الإسلام. إلى جانب ذلك، تتميز عناصر هذه الفئات بعادات وتقاليد ذات جذور عميقة، حيث يلعب الشيوخ والأولياء الصالحون دورًا مهمًا لهذه المكونات، وحسب شريف بن حبيلس فقد تشبعت واقتنعت بالخرافات والأساطير أكثر من تعمقها في الدين.

ينتقل شريف بن حبيلس فيما بعد إلى ذكر صنف آخر من التقسيم للمجتمع الجزائري، يتكون من الفلاحين والأعيان، مع التركيز بشكل كبير على الفلاح كونه الركيزة الأساسية للإنجازات التي قام بن حبيلس بتعدادها.

وسلَّط الضوء على وجهات النظر حول وضعية الفلاح، فمن جهة هناك من يراه مضطهد الحال بفعل القوانين الاستعمارية، معبرًا شريف بن حبيلس حول الأمر قائلًا: "... وإذا شئنا الاختصار فهو مثقل بالواجبات دون الكثير من الحقوق..."[2]، ومن جهة أخرى، هناك رأي يقلل من حجم الظلم معتبرًا الفلاح يعيش أوضاع تكمن في عدم الاستقرار الاقتصادي.

لا يقف بن حبيلس هنا فقط، بل يتطرق إلى وضع المرأة رفقة الفلاح في دوامة الفقر والجوع، حيث لا يجدون أمامهم سوى ترديد كلمة "مكتوب ربي" تعبيرًا عن رضا بحالهم.

---

[1] الكراغلة: تكونت هذه الجماعة نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي والانكشارية، وظهرت بمدن بها حاميات تركية كالجزائر، وتلمسان، ومعسكر. وبلغ عددهم نحو ستة آلاف نسمة نهاية القرن 16، وكان لهم ديوان خاص وصلاحيات واسعة، منها جمع الضرائب حتى من المناطق الجبلية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج 4، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص: 95.

[2] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 92.

ويعبر شريف بن حبيلس عن أعماله في الإصلاحات التي كانت مجرد حبر على ورق، من جهة خاصة جزء من النقد لنظام الخماسة[1]، فهو يرى أنَّه نظام له سلبيات أكثر من إيجابيات، إذ يدفع الفلاح إلى السقوط في هوة القرض، مرهقًا إياه بالفوائد التي تجره إلى أبواب المحاكم بسبب عدم قدرته على سداد الديون. كما يُضيف إلى ذلك مشكلة وفرة اليد العاملة، التي تجعل الفلاح يدفع الرشوة في سبيل الحصول على العمل من طرف المعمر.

وأمام هذا الوضع، يطرح شريف بن حبيلس حلولًا يطالب الإدارة الفرنسية بتحقيقها، بل ويشجع الشباب على الهجرة إلى فرنسا بقوله: "... وعلى كل حال فإنَّ النتيجة هي عمال وجنود لصالح فرنسا...".[2]

6- الفصل السادس: أمام أسوار التعصب (من الصفحة 111 إلى الصفحة 135):

جاء هذا الفصل في 25 صفحة، تناول فيه شريف بن حبيلس كتابًا نُسب إلى عبد القادر المجاوي، حيث ناقش هذا الكتاب أوضاع المجتمع الجزائري في مدينة قسنطينة، معتبرًا إياه أداة لمحاربة الخرافات والمعتقدات الراسخة.

ركز الكتاب على أصول سكان مدينة قسنطينة، وهم بالنسبة له من بربر شمال إفريقيا، كما تطرق إلى العادات والتقاليد السائدة في المجتمع القسنطيني، منها طقوس العلاج من المس، حيث يصف بدقة عملية المعالجة بذكر الطقوس والأدوات المستخدمة، بل وحتى الاعتقادات المرتبطة بها، منتقدًا وواصفًا إياها بقوله: "... هذه العادات مصائب فعلًا...".[3]

تناول أيضًا حديثه عن جمعية صالح باي، فعرض أهدافها التربوية والتعليمية، مؤكدًا أنَّها لا تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ويُضيف أنَّ بعض العناصر المحافظة عارضت نشاطها

---

[1] نظام الخماسة: انتشر في فترة الاستيطان الفرنسي، وهو ما سمح لهم بالتحكم في الجزائريين وأراضيهم، غالبًا ما يُستخدم في الأراضي الفقيرة، حيث لا يسمح المردود باستخدام اليد العاملة الأكثر تكلفة، وبالتالي، فإنَّ نظام الخماسة يسمح للفلاح الصغير المعدم أن يضمن عاملاً طوال السنة دون تكاليف ثقيلة. ينظر: مصطفى مهيدي ونصيرة عشي، "تَمَظهُرات المَركز الإيديولوجيّ وهامشيَّةُ اللُّغة الجماليّة في القصّة القصيرة الجزائريّة قبل 1990م (نماذج مختارة)"، **مجلة النص**، مج 11، ع 2، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، الجزائر، 2024م، ص: 370.

[2] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 120.

[3] نفسه، ص: 123.

خوفًا على مصالحها الشخصية، وكذلك خشية المساس بالتقاليد الراسخة، معبرًا عن ذلك بقوله: "... وتعيق كل مبادرة مهما كان نبلها...".[1]

ويختتم حديثه بذكر دوافع عبد القادر المجاوي في تأليف هذا الكتاب، معبرًا عن رغبته في زوال التقاليد والعادات التي تعيق تطور المجتمع.

7- الفصل السابع: النُخبة (من الصفحة 137 إلى الصفحة 172):

جاء هذا الفصل في 36 صفحة، محتواه حول النُخبة، حيث عرَّف شريف بن حبيلس هذه النُخبة مؤكدًا على قلة عددهم لدرجة أنهم يُعدُّون على الأصابع، حيث يوصفون بأصحاب الأحلام المجنونة، وقد اختلفت حولهم الآراء بسبب الطموحات والأهداف التي تبنَّاها عناصرها، وفي نفس الوقت يدافع بن حبيلس عنهم قائلًا: "... هذه النُخبة تحلم باللعب دورًا في تسيير الأمور وشؤون الحكم ...".[2]

ثم ينتقل الحديث إلى قضية المُتجنسين الذين يُعانون من التهميش بسبب الحصول على الجنسية الفرنسية، مُشجعًا إيَّاهم، ويعتبر هذا الفعل عملًا شُجاعًا وبُطوليًا، وقد دعم طرحه بمثال حول المُدرس الذي دفعه طموحه إلى التجنس، والذي عانى الإقصاء والعزلة من أفراد عائلته، لم يكتفِ شريف بن حبيلس بهذا الأمر، بل توسع في مناقشة برنامج هؤلاء الشباب الذين شهدوا سلسلة من التعديلات، أبرزها مذكرة التجنيد الإجباري، التي مثلت خلاصة مطالبهم، وقد خصص لها بن حبيلس 24 صفحة، استعرض فيها مطالب هذه النُخبة، مُركزًا على القضايا التي طرحوها، مثل: نظام العقوبات، والتمثيل السياسي، كما تناول مشكلة التوزيع غير العادل للموارد المالية، وباختصار طالبوا بالتعويض مقابل القبول بالتجنيد الإجباري.

في نهاية الجزء الأول من الكتاب، يختم شريف بن حبيلس كلماته بخلاصة تُؤكد أنَّ آراءه نابعة عن نية حسنة، وقول صادق لم يتأثر فيها بأي شخص أو مصلحة، بل جاءت تعبيرًا عن قناعته الشخصية، مُؤكدًا أنَّ الدافع وراء ذلك هو معالجة الآراء التي شكلتها الفئات المعنية في شمال إفريقيا، ورغبته في إبراز أصحابها الذين لهم نفس اهتمامه حول القضايا.

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 123.

[2] نفسه، ص: 144.

الجزء الثاني: الحرب ضد الجهل (من الصفحة 177 إلى الصفحة 222):

يضم هذا القسم 46 صفحة، حيث استعرض فيها شريف بن حبيلس مجموعة من الخُطب والمحاضرات، التي ألقاها الأستاذ المولود بن الموهوب، دون تحديد الأماكن التي أُلقيت فيها بدقة، إلا أنَّه أشار إلى المناسبات المرتبطة بكل منها.

تتناول الخطبة الأولى قضية التعليم وأهميتها، بينما تحمل المحاضرة الثانية عنوان "حضارة الوفاق". من المحاضرات الأخرى، فهي عبارة عن خطاب الشكر المُوجه إلى السلطات الفرنسية بعنوان "الأمانة والعرفان".

1- الخطبة الأولى: الأهالي والحضارة (من الصفحة 179 إلى الصفحة 191):

ألقى الأستاذ المولود بن الموهوب هذه الخطبة بمناسبة تدشين إحدى المدارس، دون تحديد مكان أو زمان الحدث بدقة، بدأ حديثه بالاعتراف متواضعًا، ومؤكدًا أنَّه ليس خطيبًا محترفًا، لكنَّه سرعان ما أبرز أهمية هذه اللحظة التاريخية التي جمعت الشخصيات السياسية، وأشاد بالدور الإداري الفرنسي في مكافحة الجهل ونشر التعليم، معتبرًا إياها السبب الرئيسي في هذا الإنجاز، قائلًا: "... تمامًا مثل فرنسا التي ترينا من خلال العمل الصالح لممثليها الحاكم العام عنايتها الفائقة...".[1]

اعتبر أنَّ المدارس قبل الوجود الاستعماري كانت عبارة عن مراكز تعصب وجهل، بينما في رأيه اليوم أصبحت بفضل الجهود الفرنسية منارات للتقدم والعلم، ولم يغفل أن يدعو في خطبته إلى التضامن ونشر الأفكار والقيم، وفي موقف واضح، انتقد التعصب الذي وُجّه لممثلي الإدارة الفرنسية، وبشكل خاص للحاكم العام.

من جهة أخرى، لم يتردد في وصف المسلمين بالجهل والتخلف، موضحًا ذلك بقوله: "... إنَّ من يدفعون الشعب المسلم نحو البقاء في جهله يعدون أنفسهم مسلمين طيبين بالارتكاز على القصص الخرافية والأحاديث المكذوبة ينسبونها إلى أنفسهم...".[2]

أمَّا الأسباب التي أدت إلى التخلف والتي عدَّدها الأستاذ المولود بن الموهوب، فهي: هجر العلوم والفنون، والالتزام بالعزلة، والابتعاد عن القرآن الكريم والدين، ومخالفة وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، داعيًا في الختام إلى محاربة الجهل، ومقدمًا شكره للحكومة الفرنسية.

---

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 182.

[2] نفسه، ص: 187.

2- محاضرة: حضارة الوفاق (من الصفحة 192 إلى الصفحة 202):

أُلقيت هذه المحاضرة في نادي صالح باي، وقد تحدث "المولود بن الموهوب" خلال هذا الحدث عن الأهمية التاريخية التي يُمثلها هذا الاجتماع، معتبرًا إياه دليلًا ملموسًا على بداية مرحلة جديدة ركيزتها الأساسية الوفاق، كما أشاد بالجهود الفرنسية التي ساهمت في هذا التقدم، ثم تناول في حديثه قضية الحضارة والتقدم، مؤكدًا أنَّ أُسسهما يقومان على "التجمع والتمدن"، داعيًا في الوقت ذاته إلى العمل والاجتهاد، وقد عزَّز فكرته بأحاديث نبوية.

بينما في جهة أخرى، عاتب المسلمين على التقصير في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي، قائلًا: "... ما هذا الكسل؟ إلى متى هذا الخنوع؟ لقد بلغتم الحضيض...".[1]

لم يغفل في محاضرته انتقاد مظاهر الترف عند الأغنياء المتجاهلين إخوانهم الفقراء، داعيًا إياهم إلى العمل الجماعي والتعاون لتحسين حال غيرهم، معبرًا عن رفضه لفكرهم قائلًا: "... فليعلم هؤلاء أنَّهم ليسوا من الدين في شيء، وإنَّهم على خطأ كبير..."[2]، ومتهمًا إياهم بأنَّهم السبب الرئيسي للكسل والنسيان، أو التناسي لتعاليم الدين الإسلامي، لم يكتفِ بهذا فقط، بل انتقل إلى مقارنتهم بما حققه الأوروبيين من نجاح وتفوق، وعاتبهم في السياق ذاته على إهمالهم للتعليم والعمل، محذرًا إياهم من الدخول في الضلال باسم الدين، داعيًا إلى العمل، والتمسك بالقرآن، موضحًا أنَّ الإدارة الفرنسية تسعى إلى التطوير والتضامن مع المسلمين يدًا بيد.

3- خطاب: الأمانة والعرفان (من الصفحة 203 إلى الصفحة 208):

بلغ عدد صفحات هذا الخطاب 6 صفحات، ولم يُذكر لا مكان ولا زمان هذا الحدث، وحسب حيثيات هذا الخطاب، تم تكريم "المولود بن الموهوب" وتقديم وسام له، ليتوجه بعدها بالتعبير عن سعادته وامتنانه لهذا التكريم لكل الشخصيات الفرنسية الحاضرة في هذا الحدث، ثم وجَّه حديثه إلى جمعية صالح باي (سيد آريب)، مشيرًا إلى أنَّ الجمعية تمثل بابًا جديدًا للرخاء والسعادة، مسلطًا الضوء على أهميتها ودورها الفعال في عدة مجالات، كما أبرز التحديات التي واجهتها، من محاولات التقليل من شأنها وتشويه صورتها، قائلًا: "... فإنَّنا لا نستغرب نظرات الحقد ومشاعر الغير..."[3]،

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص:197.

[2] نفسه، ص: 198.

[3] نفسه، ص: 207.

فكان تأثير تلك التصرفات عكس طموحاتهم، مؤكدًا بقوله: "... وستعكس مرآة المستقبل صورة نصر الجمعية النهائي...".[1]

ويختتم هذا الخطاب بشكر الحضور على التكريم، معربًا في الوقت ذاته عن أمله في تحقيق تعايش سلمي ومشترك بين الشعبين الفرنسي والجزائري.

4- محاضرة: أسباب انحطاط تعاليم القرآن الكريم (من الصفحة 209 إلى الصفحة 222):

شمل هذا القسم من المحاضرة 14 صفحة، تمَّ إلقائها في جمعية صالح باي، وكان مضمونها يدور حول التعاون في تحقيق الرخاء الاجتماعي، ومسألة الجهل، والتعصب في نشر نار الفتنة بين الناس، حيث دعا فيها المولود بن الموهوب إلى التدبر في القرآن الكريم وفهم تعاليمه فهمًا صحيحًا والأخذ بأوامره ونواهيه التي تركها المسلمون، وغرقوا في أعمال كانت من الأسباب الرئيسية في الانحطاط والتخلف، مُبيّنًا أنَّ أضرارها أولها هو غياب الحكمة، واتخاذ القرار الصائب.

إذ يربط الجزائريون كل ما يحدث لهم بالحظ السيء، واتباع سبيل الرذيلة والضلال الذي ينتج عنه من ضياع المال وفقدان الصحة، وتوجه المسلمين إلى الإدمان والكسل والكحول، داعمًا حديثه بحجج، ويعارض وصول البعض لمناصب رفيعة التي قد لا تكون من نصيبهم، إذ رفض ربط كل هذه المظاهر بالقرآن الكريم، حيث قال: "... لا سبب لانحطاط الأهالي ليس في قرآنهم...".[2]

في نفس السياق، يُعبر عن رؤية متفائلة بخصوص الجزائريين المتخرجين من المدارس الفرنسية، ويوجه كل الفضل إلى الإدارة الفرنسية، محاولًا إقناع الغير بالإسهامات الفرنسية، ومدافعًا عنها.

المبحث الثالث: القيمة السياسية للكتاب

يعتبر كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" من أهم الكتب التي عالجت مختلف القضايا السياسية والاجتماعية وحتى العسكرية، فقد تعددت مواقف شريف بن حبيلس حولها، مُسَلطًا الضوء على قيمتها، حيث تقلب بين الموقف المدافع والحيادي، وسوف نتطرق إلى أهم مواقفه من خلال المطالب التالية:

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 207.

[2] نفسه، ص: 213.

1- القضايا السياسية والاجتماعية:

1-1- القضايا السياسية:

أ- الأمن:

عبَّر شريف بن حبيلس عن وجهة نظره في مسألة الأمن في الجزائر، بحيث كانت عبارة عن نقطة سوداء تضم قُطاع الطرق والقراصنة، وكل هذا حسب قوله في فترة التواجد العثماني، مبينًا أنَّ الأمن انتشر في الفترة الاستعمارية.[1]

ولا تخفى محاولات الكاتب في استنكار ظروف الفترة التي سبقت الاحتلال، تحت مبرر انعدام الأمن، وقد أعطى أمثلة عن تلك الفترة التي خلت من الأمن والاستقرار، مستحضرًا تجربة حية عرفتها نواحي مدينة قسنطينة، وقارنها في نفس الوقت بالروايات الشفوية المتوارثة في الأوساط الجزائرية.[2]

ولم يكتفِ بهذا الطرح، بل ذهب إلى أنَّ فرض الأمن في الجزائر يعتبر إحدى أهم الإنجازات الفرنسية على الإطلاق، وعليه فإنَّ الجزائريون مدينون لفرنسا، ويفرض عليهم الواجب حبها والذوبان في مجتمعها: "... لذلك فخدمة الأمن والعمل على استتباب الأوضاع واستقرارها هو عمل على إدماج إخواننا وتكيفهم واستيعابهم...".[3]

كما عبَّر عن انتقاده لهذه الفئات التي رفضت طرحه وقامت بمعارضته، قائلًا: "... هؤلاء ليسوا سوى مزيفين للحقائق والكذابين، لا يمكن تصديق آرائهم...".[4]

ويظهر أنَّ موقف شريف بن حبيلس يحتوي على الكثير من المغالطات وتشويه الحقائق، فهل يعقل أنَّ الأوضاع قبل التواجد الاستعماري عبارة عن محطة لقطاع الطرق؟ ثمَّ إلى أي مدى انتشر الأمن في الجزائر في الفترة الاستعمارية؟ ألم يذكر لنا المؤرخ أبو القاسم سعد الله أنَّ الأوضاع قبل الحرب العالمية الأولى، أنَّها: "... هذا زمان الصمت، فإن تكلمت الباطل تعش، وإن تكلمت الحق فستموت...".[5]

---

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 23.

[2] نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص ص: 77-78.

[3] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 292.

[4] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 26.

[5] البشير منصور، المرجع السابق، ص: 41.

ب- التجنيد الإجباري:

اعتبرت فئة من النخبة الفرانكفونية التجنيد الإجباري فرصة لتحقيق المساواة السياسية، وكان شريف بن حبيلس أحد أبرز ممثلي هذا التوجه.[1]

وممَّا يذكر أبو القاسم سعد الله بشأنه موقف شريف بن حبيلس وجماعته من التجنيد الإجباري[2]، فهو يعتبره واحدًا ممن قبل التجنيد الإجباري، قائلًا: "... الجزائر كما يراها أهلي: تأليف الشريف بن حبيلس، وهو مجموعة آراء وملاحظات جمعها المؤلف ونشرها سنة 1914م. وقد جاء الكتاب على لسان الاندماجيين الذين منهم حامد وابن التهامي وبوضربة ومرسلي. وفي الكتاب أصداء هذه الفئة التي تبنت التجنيد الإجباري إذا كان يحقق المطالب السياسية والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، والمؤلف واحد منهم...".[3]

ج- التجنيس:

حاول المؤلف توظيف كلمة التجنس في القاموس الجزائري، مخاطبهم إياهم بقوله: "... إنَّ التجنس فعلًا يقبله مبدئيًا كل أفراد النُخبة ممن يعتقد أنَّه إحساس بالواجب الديني... وبالتالي التخلي عن الأحوال الشخصية لا يتناقض مع الغاية السامية للدين..."[4]، محاولًا بذلك إثبات أنَّ التجنس ليس بالضرورة تخليًا عن الدين الإسلامي.

لم يكتفِ بهذا الأمر فقط، بل قام بدعوة الفئة المُثقفة إلى الأخذ بالتجنس بالجنسية الفرنسية بقوله: "... هذه البرجوازية المحافظة المتجمدة البالية، "طبقة العمائم القديمة" كما تُسميها النُخبة، والتي تشكل تناقضًا حيالها. على كل حال، ماذا تنتظر من كلمة النُخبة؟ إنَّها زبدة الشباب المتكون في الجامعات الفرنسية، وهم فوق العامة، ومكانهم بين المُتحضرين، أي بين الفرنسيين وليس بين أفراد أمتهم...".[5]

---

[1] البشير منصور، المرجع السابق، ص: 41.

[2] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 297.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 7، المرجع السابق، ص209.

[4] نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص: 76.

[5] عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899-1985م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، 2004-2005م، ص: 78.

وفي نفس السياق، يدعو النُخبة إلى الوقوف ومعارضة التيارات التي ترفض التجنس قائلًا: "... لأجل ما سبق، علينا تسيير أمورهم وتشجيع مبادراتهم الشُجاعة ووقوفهم ضد التيارات الأقوى...".[1]

إذن، يعتبر التجنس بالنسبة له خاصًا بالنُخبة، ويجب أن يكون مطلبًا أساسيًا لها دون غيرها من فئات الفلاحين الفقراء[2]، إذ يتعالى عليهم ويحتقرهم، ويرى أنَّهم أدنى منه، مدفوعًا بإصرار النُخبة على أن تكون أول من يحصل على الجنسية.[3]

1-2- القضايا الاجتماعية:

أ- المرأة:

يوضح شريف بن حبيلس أنَّ المرأة في الفترة الاستعمارية تعيش أوضاعًا مزرية وظروفًا قاسية بسبب الأعمال الشاقة التي تقوم بها، داعيًا إلى تحريرها منها، وهي مثلها مثل الرجل الجزائري الذي تأثر بفعل نظام الخماسة الظالم، ويؤكد بن حبيلس على ضرورة إيجاد حل لها بقوله: "... وهذه الأخيرة لا بد من التفكير جديًا في إعفائها منها...".[4]

ويؤكد كذلك على ضرورة تحرير المرأة التي تعاني من وضع ثقيل ومحزن، الذي جعل منها "أمة" تقوم بجميع الأعمال الشاقة.[5]

1-3- القضايا الثقافية:

أ- التعليم:

يرى شريف بن حبيلس أنَّ تحرير الشعب الجزائري وتطويره علميًا وثقافيًا يتطلب غزو عقولهم، وقد انخرطت فرنسا في هذه المهمة بدافع حاجتها إلى موظفين لتسيير شؤون مستعمراتها، بالإضافة إلى ادعائها بنشر قيم الحضارة والتمدين، ولقد استطرد قائلًا: "... ما هو ملمح التعليم؟ كيف تعامل معهم الأهالي هنا؟ وماذا كانت نتائجه؟...".[6]

---

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 145.

[2] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص: 78.

[3] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 2.

[4] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 98.

[5] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص: 269.

[6] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 46.

بدأ الكاتب في الإجابة على الأسئلة، موضحًا الجهود التي بذلتها الإدارة الفرنسية في سبيل ترقية التعليم.[1]

وهنا لا ندري بأي منطق يتحدث شريف بن حبيلس؟ فإذا كان يتحدث بلغة المعطيات والوقائع التاريخية، فالتاريخ يشهد – وهذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم الذين يدافع عنهم – أنَّ نسبة الأمية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي كانت تقريبًا منعدمة تمامًا، فالجزائر كانت غنية بقرائها وحواضرها بمختلف دور الثقافة، وحواضر ساهم الاستعمار الفرنسي نفسه في تهديمها ومصادرتها ونفي علمائها وفقهائها.[2]

وصرح أبو القاسم سعد الله حول الأمر قائلًا: "... أنَّ ما بين الملامح التاريخية لاحتلال فرنسا للجزائر هذا الإهمال المتعمد للتعليم الجزائري...".[3]

2- القضايا الاقتصادية:

2-1- التعمير:

أ- العامل الجزائري والمعمر الفرنسي:

رسم شريف بن حبيلس صورة المعمر الذي ترك وطنه في سبيل تطوير الجزائر، والذي عانى الكثير من الصعوبات في تحقيق النتائج المرجوة، متجاهلًا العامل الجزائري، بقوله: "... الريف كان بوراً صار يزدان بالمحاصيل الخصبة..."[4]، ومرة ثانية يسقط بن حبيلس في تقديم صورة مشوهة للواقع.

وهذا جول فيري، أحد أهم أقطاب السياسة الاستعمارية، يصف سنة 1892م الوضع المأسوي للجزائريين بقوله: "... رأينا هاتيك القبائل البائسة التي تسلط عليها الاستعمار فأجلاها، والحجز فأرهقها، ونظام الغابات فأطردها، والقوانين فأفقرها، سمعنا شكواهم ورأينا عين بؤسهم ولمسناه لمسًا...".[5]

---

[1] نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص: 83.

[2] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص: 295.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، المرجع السابق، ص: 141.

[4] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 39.

[5] البشير منصور، المرجع السابق، ص: 24.

ب- الفلاح الجزائري والمعمر الفرنسي:

يرى شريف بن حبيلس أنَّ الفلاح الجزائري في إطار سياسة الاستيطان قد عاش تغييرات كثيرة، وذلك راجع إلى العوامل التي أحدثها المعمر الفرنسي، بحيث أنَّه عاش في رفاهية من تحسن المستوى المعيشي والأسلوب الاستهلاكي، محاولًا بذلك توصيل فكرة أنَّ المعمر قد ساهم بشكل كبير في تحسين أوضاع الفلاح الجزائري، وزرع فكرة تقبل وجود المعمر في أذهان الجزائريين وأنَّه أمر حتمي، محاولًا تغليف هذا الاقتناع بالاحترام والإعجاب، قائلًا: "... تزرع في أذهان الأهالي الاقتناع القوي بأنَّ التعمير والتواجد الأوروبي في بلادهم قدر لا مفر منه...".[1]

لكن الواقع يذكر خلاف ذلك، حيث إنَّ سياسة الاستيطان ركزت على مُصادرة الأراضي وتوجيه الإنتاج الزراعي، فمنذ أن وطئت أقدام المستعمر أرض الجزائر، عملت جاهدة على تحطيم الفلاح الجزائري بانتزاع ملكيته الزراعية، سواء من خلال إرهاقه بالضرائب وبالتالي إجباره على التنازل عنها، أو من خلال سلسلة من التشريعات العقارية للاستيلاء على أكبر مساحة من الأراضي وتشجيع المهاجرين الأوروبيين على الاستقرار وبتوزيعها عليهم.[2]

ولهذا لم تتردد فرنسا في خوض حروب لانتزاع الأراضي الجزائرية والاستحواذ عليها، كما عملت على تهجير سكانها الأصليين قسرًا.[3]

يمكننا أن نتساءل هنا عن هذا الواقع الذي حاول شريف بن حبيلس تلطيفه وتقديمه رغم السواد والعتمة التي تلفه، فعن أي شعور بالرضى والإعجاب والاحترام يتحدث؟ وعن أي إضافة قدمها المعمر الأوروبي للجزائريين ذوي الأسمال البالية والأقدام الحافية والبطون الخاوية؟.

---

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 39.

[2] بوشنافي محمد، "آثار السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري"، **مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا**، مج 2،ع 3، جامعة الجيلالي اليابس- سيدي بلعباس، الجزائر، أفريل 2007م، ص: 111.

[3] بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962م)، ج 1، ط 1، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص: 120-121.

ألم يذكر لنا "بول أودال"[1] (Paul Audale) على سبيل المثال في رحلاته الموسومة "صورة الجزائر أرضًا وشعبًا" لدى الرحالة الفرنسي في 1899م (من الجزائر إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج، ومسيلة) مظاهر الفقر والتسول والحرمان التي وقف عليها بنفسه: "... كل فقراء المدينة (يقصد برج بوعريريج) سبقوا انطلاقنا كأنما تواعدوا، جميعهم كثيرًا أو قليلًا عجزة بسيقان ترتطم، وأذرع تتساقط جلدها على العظم، وأسنان تنبعث منها رائحة الحريق كضمادات الجروح...".[2]

يُعتبر هذا الكتاب شهادةً لأحد عناصر "النُخبة" الجزائرية المُفرنسة الذي نشأ في أحضان الاستعمار الفرنسي "ورافضًا" المجتمع الجزائري، بل كان يوجّه انتقاده ويضع بني جلدته في إطار التخلف والجهل.

حيث كان يرفع من شأن المُعمر والإدارة الفرنسية، "داعيًا للاندماج" والتجنس، معتقدًا أنَّها السبيل الوحيد للتطور والحضارة، مفتخرًا بتكوينه وتعليمه.

وفي نفس الوقت، نجده يدافع عن حقوق الجزائريين، "معبرًا" عن رفضه للظلم والاستهتار الفرنسي، وبذلك "يطمح إلى" تجسيد فكرة "الجزائر الفرنسية"، معتقدًا بذلك أنَّه الصواب عينه بقوله: "... تعليم الأهالي عصرنتهم تحضيرهم، كل ذلك لا يستطيع أن يكونوا سوى عملية التقريب لهم منا...".[3]

كان يبالغ في تقدير "الإدارة" الفرنسية، "موجهًا" اللوم نحو "الجزائريين"، حتى لو أظهر نقاط ضعف الإدارة الفرنسية، نجده يقدم لها "مبررات لا حصر لها".

عالج بن حبيلس في كتابه الكثير من القضايا التي كانت بمثابة معلومات ذات أهمية كبيرة للباحث، وحتى أنَّه "وصف" تجاربه الشخصية التي سلطت الضوء على بعض المعلومات التاريخية.

---

[1] بول أودال: ولد الرحالة بول أودال في 23 أكتوبر بمنطقة كروتوي (Corotoy) شمال افريقيا، وأصبح أشهر كُتَّاب الأخبار في الجرائد العالمية مثل: (Le Temps). ينظر: محمود بوكسيبة، "الرحالة إلى زاوية الهامل في عهد لالة زينب (1897-1904م)"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 4، ع 2، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2020م، ص ص: 694-695.

[2] قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص ص: 234-235.

[3] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص: 6.

الخلاصة:

يُعدُّ كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" من أبرز المؤلفات التاريخية التي تُنسب إلى الكاتب "شريف بن حبيلس"، حيث يقدم رؤيةً شاملةً للأوضاع الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، فقد تميَّز هذا الكتاب بطرحه التحليلي الغني بالمعلومات الدقيقة حول أوضاع الجزائر أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، والتي تعكس رؤية الكاتب الشخصية للأحداث كشاهد عيان عايش كل التطورات والتغيرات التي عرفتها الجزائر إبَّان تلك المرحلة، الأمر الذي يجعله مصدرًا أساسيًا للباحثين في تاريخ الجزائر المعاصرة، وتحديدًا فترة النهضة وبداية النضال السياسي، وهذا ما يجعل كتابه ذا قيمةً علميةً كبيرةً، بما جاء فيه سرد وتحليل لواقع المجتمع الجزائري آنذاك.

ورغم القيمة العلمية الكبيرة التي يتمتع بها الكتاب، إلَّا أنَّ نظرة الكاتب المثالية والمجردة عن الواقع خلال الفترة الاستعمارية تكشف في مواضع عدة عن تجاهل، أو عدم إدراك حقيقي لمعاناة الشعب الجزائري اليومية في ظل السياسة الاستعمارية التعسفية لصالح المعمرين، فهو اختزل آلامهم ومشكلاتهم في تصورات بعيدة عن واقعهم المعاش، انطلاقًا من فكرة فئات اجتماعية متنوعة في إطار جغرافي "مستعمرة" وخاضعة لسلطة واحدة، دون أن يولي الاهتمام إلى ذلك التمييز الحاصل بين الجزائريين والمعمرين انطلاقًا من مبدأ الاستعمار.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد شكّلت الفترة الممتدة بين 1870 و1920م مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر، بما شهدته من تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة، فرضتها السياسات الاستعمارية الفرنسية، وكان لها أثر بالغ في تشكّل النُخبة الجزائرية، خاصةً ما عُرف لاحقًا بالنُخبة المُفرنسة.

خلال هذه المرحلة، انتقلت الجزائر من نظام الحكم العسكري المباشر إلى الإدارة المدنية، وتكثَّفت القوانين التمييزية، كقانون الأهالي، الذي عمَّق الفجوة بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين، وقد أفرزت هذه الظروف طبقة من الجزائريين تأثرت مباشرةً بسياسات الاحتلال، فشكلت النواة الأولى لنُخبة جديدة، نشأت في ظل واقع استعماري معقَّد.

اجتماعيًا، كان التعليم الفرنسي العامل الأبرز في تكوين هذه الفئة، إذ أُتيح لعدد محدود من الجزائريين دخول المؤسسات التعليمية الرسمية، التي لم تكن مفتوحة لعامة السكان، ما جعل هؤلاء يحملون ثقافة ولغة المستعمر، وينتمون شكلًا إلى النظام الفرنسي، رغم انتمائهم الأصلي إلى المجتمع الجزائري.

أمّا على الصعيد الاقتصادي، فقد أدّى تزايد معدلات الفقر الناتج عن مصادرة الأراضي الزراعية والتوسع الاستيطاني إلى دفع عدد كبير من الجزائريين نحو البحث عن بدائل وفرص جديدة، لا سيما في مجالات الإدارة والتعليم والقضاء. وقد ساهم هذا الواقع في نشوء نُخبة مثقفة، تشكّلت داخل منظومة المستعمر، وظلّت تعيش نوعًا من الازدواجية بين انتمائها لهويتها الأصلية، وتأثرها بالأفكار والقيم التي فرضها الوجود الاستعماري من جهة أخرى.

دينيًا وثقافيًا، تميزت الفترة بتراجع كبير للمؤسسات التقليدية، كالمساجد والزوايا والمدارس القرآنية، نتيجة السياسات الاستعمارية الهادفة إلى إضعاف البنية الدينية والثقافية الأصيلة، مقابل تعزيز حضور الثقافة الفرنسية وقيمها. وفي مقابل هذا التراجع، ظهرت ملامح جديدة لحراك ثقافي وديني موازٍ ساهم بشكل غير مباشر في بلورة وعي هذه النُخبة، حيث نشطت الصحافة المكتوبة

باللغتين العربية والفرنسية، وظهرت بعض الجمعيات الخيرية والثقافية، والنوادي الفكرية التي أصبحت فضاءات للحوار والنقاش حول واقع المجتمع ومآلاته.

كما كان لعدد من العلماء والمثقفين دورٌ مهمٌ في التأثير على توجهات هذه النُخبة، من خلال كتاباتهم ومواقفهم التي حاولت التوفيق بين مقتضيات الحداثة المفروضة من قبل الاستعمار، والمحافظة على مقومات الهوية الإسلامية والوطنية. ورغم القيود المفروضة على حرية التعبير، فقد ساهمت الفضاءات الثقافية في تنمية وعي نقدي لدى النُخبة التي بدأت تدرك صعوبة موقعها بين ثقافتين متعارضتين: الثقافة الاستعمارية من جهة، والثقافة الوطنية من جهة أخرى.

لم تكن هذه النُخبة وحدة متجانسة، بل كانت مزيجًا متنوعًا من الموظفين، والأطباء، والمحامين، والمعلمين، وغيرهم، جمعتهم اللغة الفرنسية والتعليم المشترك، لكنَّها اختلفت في مواقفها تجاه الاستعمار، فمنهم من اختار الانصهار والاندماج الكامل مع النظام الفرنسي، ظنًا منه أنَّ هذا هو الطريق الوحيد للخروج من التهميش والتطور، في حين انخرط البعض الآخر في محاولة الدفاع عن الحقوق الجزائريّة وهويتها من داخل منظومة الاستعمار، مستخدمين أساليب عقلانية وهادئة مثل: الكتابة والإصلاح الوظيفي والاجتماعي. هنا تظهر التناقضات الاجتماعية والثقافية التي كانت تعيشها هذه النُخبة، ما جعلها ظاهرة مركبة بين التعاون والمقاومة، بين الولاء والتمسك بالهوية الوطنية.

على صعيد الإدارة الفرنسية، سعت هذه الأخيرة إلى احتواء النُخبة المُفرنسة بمنحها بعض الوظائف والامتيازات، لكنها ظلَّت تراقب حدود ذلك الاحتواء بحذر، خشية أن تتحول هذه الفئة إلى قوة سياسية تُهدد استقرار النظام الاستعماري، وهذا ما جعل النُخبة تعيش حالة انقسام مستمر، حيث لم تكن في موقعي السلطة أو المعارضة، بل في حالة توازن هش بينهما، وانعكست على مواقفها الفكرية والسياسية.

وفي هذا السياق المركّب، تبرز شخصية شريف بن حبيلس كنموذج معبّر عن تعقيدات هذه المرحلة، فهو سليل عائلة جزائرية عريقة، نشأ في محيط ثقافي واجتماعي يجمع بين الأصالة والانفتاح على التعليم العصري. تلقى تعليمه في مدينة قسنطينة، واندمج مبكرًا في مسار علمي وإداري أهّله لتقلّد

مناصب قضائية وإدارية، فكان قاضيًا، ثم عضوًا في الوفد المالي، ومساهمًا في الشأن العام من موقعه داخل بنية الإدارة الاستعمارية.

لقد ترك شريف بن حبيلس أثرًا فكريًا مهمًا من خلال كتاباته ومواقفه، لا سيما في مؤلفه "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، الذي يعكس رؤية نقدية وواقعية للواقع الاستعماري في الجزائر. هذا الكتاب يشكل مرآة صادقة لتجربة النُخبة التي وُلدت وتكوّنت في أحضان الاستعمار، حيث جسدت سيرته الذاتية، بما احتوته من اجتهاد علمي وممارسة مهنية وتأملات فكرية، صورة مركبة لهذه الفئة الاجتماعية التي حاولت رغم محدودية الوسائل، الحفاظ على كيانها الوطني وهويتها الثقافية وسط نظام استعماري معقد ومتحكم.

في كتابه، لم يُعبّر شريف بن حبيلس بشكل دقيق وموضوعي عن واقع الجزائريين تحت الاستعمار الفرنسي، إذ غلب على تحليلاته طابع مثالي ومجرد عن واقع المعاناة اليومية التي عاشها المجتمع الجزائري، ورغم بعض التلميحات إلى مظاهر الظلم التي كان يعاني منها الجزائريون، إلا أنَّ نقده بقي محدودًا ومترددًا، متأثرًا بارتباطه بمنظومة الحكم الاستعماري، ممَّا جعله يتفادى توجيه انتقادات صريحة للسياسات الفرنسية، وقد فضّل بدلًا من ذلك تبني خطاب إصلاحي تدريجي يُراعي منطق الاندماج والتجنيس، بما يخدم مصالحه ومصالح النُخبة التي ينتمي إليها، مبتعدًا بذلك عن التعبير الصادق عن آلام الشعب وهمومه الحقيقية.

وهكذا، يعكس موقف شريف بن حبيلس حالة التوتر والاختلاف التي ميزت النُخبة المُفرنسة في تلك الحقبة، التي كانت تبحث عن سبيل للتوفيق بين التعايش مع السلطة الاستعمارية من جهة، والسعي للحفاظ على مصالحها الوطنية والاجتماعية من جهة أخرى. وتظهر سيرته كنموذج جدير بالتأمل لفهم مآلات هذه النُخبة التي عاشت في ظل الاستعمار، وما واجهته من صراعات داخلية بين الولاء للنظام واحتفاظها بالهوية الوطنية.

وقد انتهت حياة شريف بن حبيلس في فرنسا سنة 1959م، في ظروف لا تزال تحيط بها بعض التساؤلات، تاركًا وراءه إرثًا فكريًا مهمًا لفهم تعقيدات تجربة النُخبة الجزائرية في ظل الاحتلال

الفرنسي، خصوصًا في جانب التكيف والتعامل مع النظام الاستعماري في مواجهة تحديات الهوية والسياسة.

إنَّ تحليل هذه الشخصية وكتابها يدعوان إلى إعادة النظر في صورة النُخبة الجزائرية المُفرنسة، التي صُنفت غالبًا ضمن خانة المتعاونين بشكل مطلق مع الاستعمار، فالتجربة التي عاشتها هذه الفئة كانت مزدوجة، بين صراع الهوية والانتماء، والتفاعل مع الواقع الاستعماري بطرق متعددة، من الصمت، إلى المواجهة العلنية، وصولًا إلى المقاومة الفكرية والسياسية، حيث لعبت هذه النُخبة، بأعلامها وخصوصًا مع شخصية شريف بن حبيلس، تلك الحلقة الوسطى لمواجهة الاستعمار، بطرق سلمية تعتمد على الحوار والقلم، ومهدت لاحقًا لبروز مقاومة سياسية منظمة.

ومع ذلك، فإنَّ مواقف شريف بن حبيلس لم تكن دومًا في صف الجزائريين، ولم يتسم تحليله بالموضوعية بشكل كامل، ففي بعض الحالات كان يميل إلى الدفاع عن السياسة الفرنسية في سياق مستعمرة يخضع سكانها لسلطة واحدة دون أن يراعي فكرة الاحتلال وسياسته التعسفية، وخير مثال على ذلك عندما حاول تحليل واقع الاستيطان وطبيعة علاقة الفلاح الجزائري بالمعمر نجده لم ينتقد تلك التعسفات التي كان يعاني منها الجزائري بسبب السياسة الاستيطانية.

في الأخير، نلاحظ أن النُخبة الجزائرية المُفرنسة لم تكن موحدة في مواقفها، بل كانت هناك اختلافات واضحة في آرائها وطريقة تعاملها مع الواقع الاستعماري، فرغم استفادتها من بعض امتيازات الاستعمار، إلا أنها لم تكن قادرة على تمثيل طموحات أغلبية الشعب الجزائري، الذي كان يعيش أوضاعًا صعبة من ظلم وتهميش.

ويُعتبر شريف بن حبيلس مثالًا واضحًا لهذا التناقض، فقد حاول أن يعبّر عن بعض مشاكل المجتمع، لكنه بقي جزءًا من الإدارة الاستعمارية. لهذا، فإنَّ دراسة هذه النُخبة تحتاج إلى نظرة نقدية تأخذ بعين الاعتبار السياق الذي عاشته، دون أن تتجاهل ضعف تأثيرها وابتعادها عن هموم الناس الحقيقية.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة لشريف بن حبيلس[1]

[1] https://www.senat.fr/senateur/benhabyles_cherif

اطلعنا عليه بتاريخ 15 ماي 2025 على الساعة 17:10.

الملحق رقم 02: يُمثل نسخة من وسام جوق الشرف لشريف بن حبيلس[1]

DÉCRETS, ARRÊTÉS & CIRCULAIRES

MINISTÈRE DE LA JUSTICE

MINISTÈRE DE L'INTÉRIEUR

[1] رزيقة قاسمي وحسناء بورغيدة، النُخبة الفرنكفونية "الشريف بن حبيلس" أنموذجًا (1885–1959م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830–1954م)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955– سكيكدة، 2022–2023م، ص: 88.

الملحق رقم 03: محاضرة شريف بن حبيلس "مئة عام من فرنسا في الجزائر"[1]

et la Chrétiente

Conférence
de M. Chérif Benhabylès

« Cent ans de France en Algérie », — c'est ainsi que M. Chérif Benhabylès avait surintitulé la causerie qu'il a présentée vendredi, sous les auspices de l'Association des étudiants musulmans. En réalité, c'est plutôt qu'un bilan, une préface que M. Benhabylès nous a offert. Une préface toute gonflée de l'érudition précieuse de ce magistrat des plus cultivés, savant musulman et fort expert en lettres françaises.

La plus grande partie de la conférence, en effet, fut consacrée à un passionnant examen des « contacts », nous pourrions dire : des analogies, entre le christianisme et l'islamisme. Nous ne suivrons pas le docte cadi dans la discussion proprement théologique qu'il institua et résolut dans l'esprit le plus favorable, avec des faits et des arguments subtilement triés. Sans doute, un esprit rigoureusement orthodoxe pourrait-il juger que, par exemple sur le péché originel, son interprétation est quelque peu aventurée.

Mais la thèse générale, à savoir l'imprégnation chrétienne de l'Islam

[1] L'Écho D'Alger, Op. Cit, P: 2.

الملحق رقم04: تقديم كتاب (Où va la France en Algérie?) لشريف بن حبيلس كما ورد في جريدة(La Brèche)[1]

Où va la France en Algérie?

Notre bon camarade Chérif Benhabylès vient de réunir en une plaquette fort bien éditée par l'imprimerie Brahmi, les lettres ouvertes qu'il a adressées à M. Vallet, par l'intermédiaire de La Brèche.

Nos lecteurs ont apprécié, au fur et à mesure de leur publication non seulement la belle forme littéraire de ces lettres, mais les observations et les suggestions précieuses que notre excellent collaborateur a tenté d'apporter dans la solution de l'important problème de la naturalisation des indigènes algériens.

Notre grand confrère algérois La Presse Libre *vient de consacrer à l'étude de notre ami Benhabylès l'article suivant :*

L'examen de conscience est un exercice qui peut se recommander à tout le monde;

C'est sur cette élite, intermédiaire entre la masse musulmane et la civilisation française, que M. Benhabylès compte pour arriver à la fusion souhaitée par tout le monde. Il est de fait qu'il existe désormais une catégorie d'indigènes qui sont «hantés» par notre culture et qui rendent justice à notre société «si raffiné par la place qu'y occupe la femme». De ceux-là, beaucoup ont épousé une européenne, et leurs enfants ne différeront pas des nôtres quant à leur culture. Ce sont eux qui aideront à franciser l'Algérie.

Mais, objectera-t-on, pour eux comme pour les autres, il y a l'obstacle de la question religieuse. La francisation suppose l'acceptation des lois et des coutumes de notre pays. Or, il semble bien que ces lois et coutumes soient radicalement opposées

Oui, mais comment, par quels moyens y parvenir?

Un jeune écrivain musulman dont on ne peut douter ni des sentiments français ni de l'attachement à sa race, M. Chérif Benhabylès, vient de publier un petit livre qui nous apporte de très précieuses et de très émouvantes indications sur la question, telle que la voit cette élite musulmane d'Algérie qui a donné à la France le plus ferme appui, en même temps qu'elle tenait à honneur de se faire le champion de ses frères les plus humbles et les moins savants.

M. Chérif Benhabyles, donc vient de faire éditer une mince plaquette d'une soixantaine de pages intitulée: *Où va la France en Algérie*.

Pour lui, la France a le double devoir de pratiquer une politique d'association à l'égard de la masse, et d'assimiliation progressive à l'égard de ceux qui se sont élevés

pour arriver à réaliser la fusion franco-musulmane; projets plus ou moins vastes, plus ou moins réalisables. Un accord n'a encore pu se faire sur la question. La naturalisation pure et simple de la masse indigène a été reconnue impossible dans la pratique. Il faut respecter à la fois la législation française et les susceptibilités musulmanes.

Le moyen, seul moyen, c'est évidemment celui qu'indique M. Benhabyles: procéder à une assimiliation par degrés.Puisqu'il existe une élite indigène très proche de nous, nous devons commencer la dernière étape de notre œuvre, c'est elle que nous devons attirer à l'intérieur de notre société; nous devons faire une place à ses représentants aux côtés des nôtres dans les grandes assemblées; nous devons l'intégrer à nous.

C'est par cette intégration progressive, naturelle que, sans porter atteinte ni à la dignité française ni aux légitimes susceptibilités

[1] La Bréche, Op. Cit, No. 250, 11e Année, Mercredi 18 Octobre 1930, Alger, P: 3.

الملحق رقم 05: صورة عن كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"[1]

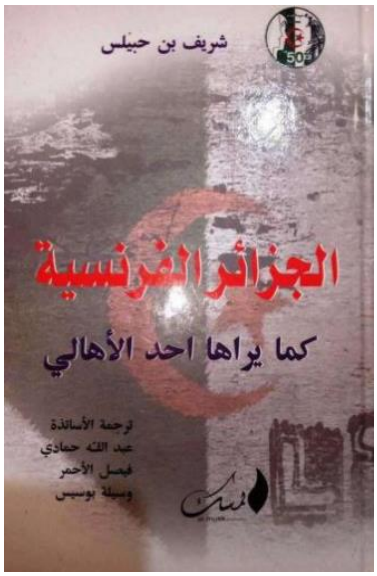

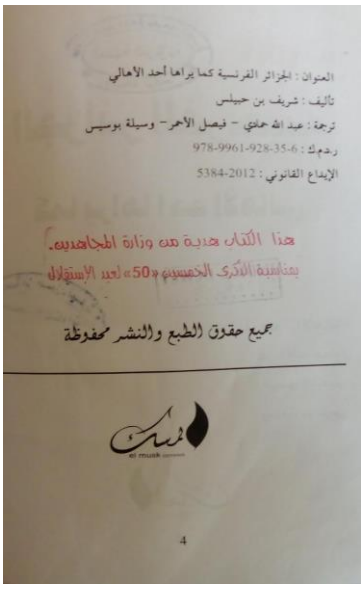

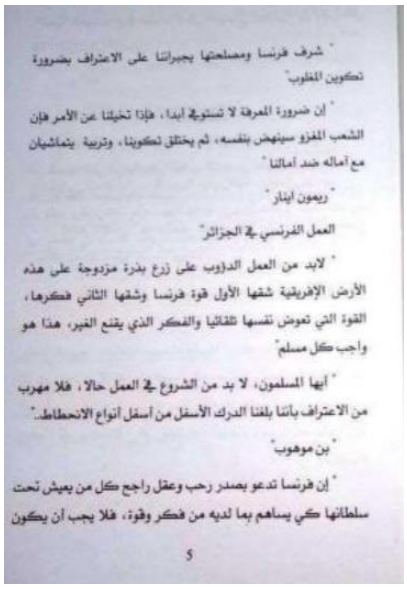

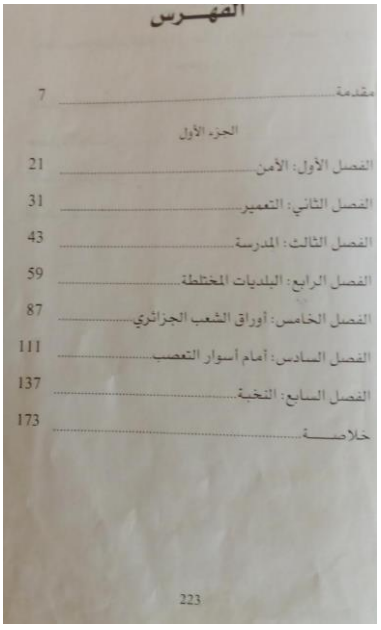

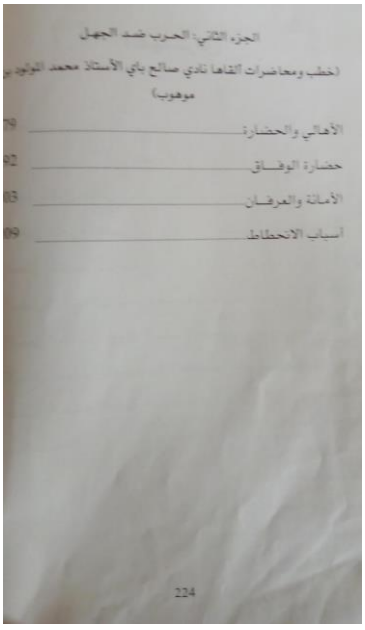

[1] شريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص ص: 4-5، ص ص: 223-224.

الملحق رقم 06: صورة محمد المولود بن الموهوب[1]

[1] محمد بسكر، الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه، مج 2، د.ط، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص: 293.

الملحق رقم 07: صورة الشيخ عبد القادر المجاوي[1]

[1] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1340هـ-1921م) إلى عام (1395هـ-1975م)، ج 3، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 49.

الملحق رقم 08: قروض بالفرنك الفرنسي للتعليم العالي في الجزائر ما بين (1902-1908م)[1]

السنة	التعليم العام للمعمرين	التعليم العام للجزائريين
1902	823.081.5	274.389.1
1903	978.558.5	164.179.1
1904	003.732.5	429.299.1
1905	368.847.7	234.314.1
1906	649.189.8	064.385.1
1907	390.955.8	464.549.1
1908	368.923.9	639.617.1

[1] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص: 70.

الملحق رقم 09: مطالب الجزائريين من فرنسا سنة 1912م[1]

(كانت الجزائر خلال الفترة 1907 ـ 1912 في شغب كبير نتيجة تط
الفرنسيين لتطبيق قوانين التجنيد العسكري الاجباري على الجزائريين لأول م
وعندما وافق المجلس الوطني الفرنسي رسمياً على قانون التجنيد ، عما
الجزائريون بالكتابات الصحفية ، والهجرة الجماعية ، والفرار الى الجبال . و
هذه الحالة ، ألف زعماء الطبقة المثقفة (النخبة) وفداً وقدموا الى الحكومة الفر
في باريس (بياناً) طويلاً . وقد احتوى هذا البيان على المطالب الآتية :

ان قرار 3 فيفري 1912 الخاص بتطبيق قانون التجنيد العسكري الاج
على الأهالي الجزائريين قد أثار مشاعر سخط عظيمة في كل أنحاء البلاد .
مشاعر تهدد بالاستمرار اذا لم يوضع حد سريع للقرار الذي كان السبب في اثارتها

وأمام هذه الحالة ، فان الأعيان الممضين أسفله ، المعبرين عن رأي الأ
من مواطنيهم يعتقدون أنه من المفيد أن يقدموا بتوضيح الوضع الى الحك
(الفرنسية) في باريس وذلك باطلاعها على رغبات المسلمين (الجزائريين) ا
يشعرون بأن هذا الحمل الجديد (قانون التجنيد) الذي أضيف الى أحمال أ
سابقة ثقيلة ، يجب أن يصححه ، بالمقابل تحسين لأحوالهم .

وان أعضاء الوفد ، يوحي من عدد ضخم من العرائض التي كتبت في ج
أنحاء الجزائر ، وبالتماع منهم بأن جميع أبناء فرنسا يجب أن يستجيبوا ، و
لنداتها ، يعلنون أن أهالي الجزائر مستعدون للقيام بكل واجباتهم ، كما
مخلصين ، نحو أم الوطن .

ولكنهم من جهة يعتبرون الأمور التالية ضرورة :

(أ) ان الخدمة العسكرية يجب أن تخفض الى سنتين (بدل ثلاث) ، على أ
المساواة مع الفرنسيين الأخرين .

(ب) أن يكون سن التجنيد واحداً وعشرين ، بدل ثمانية عشر ، لأن المجندين في
هذا العمر (18) لم يتكونوا جسمياً بصفة كاملة .

(جـ) ان مقابل الخدمة يجب وقفه ، لأن العائلات (الجزائرية) ستكون فخورة أن
ترى أبناءها يعملون في صفوف الجيش الفرنسي بدون تعويض مالي .

وهم ، من جهة أخرى يطالبون بالحصول على تعويض فعال ممثل في التالي :

1 ـ تغيير الاجراءات الاضطهادية .

2 ـ تمثيل نيابي جاد وكاف في المجالس الجزائرية والباريسية .

3 ـ تطبيق عادل للضرائب .

4 ـ توزيع متساو لمواد الميزانية بين العناصر المختلفة من سكان الجزائر .

1 ـ الاجراءات الاضطهادية :

ان الأهالي (الجزائريين) يخضعون بخصوص الجرائم والهجمات ، والاعتداءات لقوانين استثنائية يبدو من الواضح أنها لا تراعي القانون العام . وهكذا فان المسمى (بقانون) الأهالي قد خلق بالنسبة اليهم مخالفات خاصة لا تحكم فيها التشريعات العادية ولكن يحكم فيها رجال من النظام الاداري المحلي ، وهي حالة تشكل خرقاً لمبدأ الفصل بين الساطات .

ومن جهة أخرى فإن الأهالي يشكون من المحاكم المسماة بالرادعة ومحاكم الجنايات التي لا تضمن طريقتها التحقيقات العادية . ودعنا نلاحظ ان هذه القوانين والمحاكم الاستثنائية ليس لها أصل في عهد الاحتلال . لقد خلقت فقط منذ سنة 1881 (قانون الأهالي) وسنة 1903 (المحاكم الرادعة والمحاكم الجنائية) .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هناك عقوبة خاصة (لا) تطبق (الا) على الأهالي ، وهي الاحتجاز السري (ليتر دي كاشي) الذي لم ينص عليه أي قانون (شرعي) والذي لا يتبع تطبيقه أية طريقة قضائية . وفي الحقيقة فإن أمراً من الحاكم العام كاف لاعتقال أي انسان ، حتى ولو كان من أكابر الأعيان ، وأبعاده عن عائلته دون السماح له بشرح وضعه والدفاع عن نفسه ، ثم يؤخذ لمدة غير محددة الى معتقل خاص أو الى جهة بعيدة عن مسكنه وعمله وتسلط عليه الاقامة الجبرية . (لذلك) فان الأهالي الجزائريين يطالبون بتغيير كامل لهذه الحالة .

2 ـ التمثيل النيابي للأهالي :

ان في الجزائر مجالس من المفروض ان الأهالي ممثلون فيها. فالقانون يسمح لهم بالحصول على ربع المقاعد في المجالس البلدية (البلديات ذات الصلاحيات الكاملة) . ولكن دون أن يتجاوز عدد ممثليهم ستة . أما في المجالس العامة (العمالية) فإن عدد ممثلي الأهالي قد حدد بستة دون استثناء . وأما بخصوص المجلس المالي (العام) الذي يبلغ أعضاؤه 69 عضواً فإن ممثلي الأهالي فيه يشغلون 21 مقعداً فقط : منهم 15 ينتخبون انتخاباً عن العمالات الثلاث (الشمالية) و6 عن منطقة (الجنوب) العسكرية يعينهم الحاكم تعييناً . وأما فيما يتعلق بالمجلس الأعلى (للحكومة) الذي يضم 59 عضواً منتخبين أو معينين فانه لا يوجد فيه أكثر من 7 أعضاء أهليين ، من بينهم 4 ينتخبهم المجلس المالي ، و 3 يعينهم الحاكم العام عن المنطقة العسكرية .

ومن الواضح أن الأهالي لا يتمتعون بتمثيل فعال ومفيد في المجالس المحلية . فالعدد القليل لم يسمح لممثلي الأهالي المنتخبين أن يشكلوا في كل مجلس سوى أقلية صغيرة لا تستطيع أن تمارس أي تأثير عند التصويت . وبالإضافة إلى ذلك ، فانه نظراً الى أن هؤلاء النواب الجزائريين لا يسمح لهم القانون بانتخاب لا رؤساء البلديات ولا مساعديهم ، فانهم لا يستطيعون أن يقوموا بأي عمل في توجيه ادارة البلدية .

أما بخصوص طريقة الانتخاب فان ممثلي الأهالي قد جاءوا من قسم انتخابي مقيد جداً لا يأذن لهم بأي ضمان في أن يكونوا مستقلين . والحق ان القانون الانتخابي الخاص بالأهالي قد تضمن الشروط التالية :

(أ) بخصوص المجالس البلدية : الموظفون ، والمتقاعدون ، والملاكون لأملاك فلاحية ومالية ، والحاملون لوسام الشرف (ليجون دونور) أو لأي ميدالية تذكارية (هم فقط الذين لهم صلاحيات الترشح) ، أما التجار والصناع وأصحاب المهن الحرة ، مثل الأطباء والمحامين ورجال الأعمال ، فانهم جميعاً مستثنون من حق الترشح للانتخاب .

(ب) وأما بخصوص المجالس العامة فان القانون الانتخابي قد حصر المنتخبين في

أفراد الأهالي المستشارين والمساعدين في المجالس البلدية . ولكن نظراً إلى أن كل هؤلاء المساعدين موظفون مسؤولون مباشرة لعامل العمالة ، ونظراً إلى انهم يشكلون الأغلبية في كل الدوائر الجزائرية الانتخابية ، فانه لا يمكن لمرشح غير مؤيد من الادارة أن يفوز . وهذا أيضاً يفسر لماذا نجد تسعة من عشرة من ممثلي الأهالي في المجالس العامة وفي المجلس المالي ، من الموظفين ، نتيجة لتبعيتهم الكاملة للادارة . والحق أن ممثلي الأهالي في المجالس العامة ما زالوا ، كما كانوا في الماضي ، يعينون من الادارة .

هذا هو واقع التمثيل النيابي بالنسبة للأهالي . (لذلك) فإن السكان المسلمين (الجزائريين) يطالبون بما يلي :

1 ـ توسيع قانون الانتخاب الخاص بالأهالي لكي يضمن فعالية وصلاحية التصويت .

2 ـ زيادة عدد ممثلي الأهالي في المجالس الجزائرية بنسبة خمسي عضويتهم .

3 ـ يجب توحيد قانون اجراء الانتخابات لكل المجالس الجزائرية . وفي ضرورة اجراء انتخاب من الدرجة الثانية لانتخاب المستشارين العامين وأعضاء المجلس المالي ، يجب اعطاء حق التصويت الى المستشارين المنتخبين في المجالس البلدية واستثناء المساعدين الأهليين .

4 ـ يجب أن يكون للمستشارين الأهليين في البلديات حق انتخاب رؤساء المجالس البلدية ومساعديهم .

5 ـ يجب أن تكون النيابية غير متناسبة مع وظيفة القياد والمساعدين الأهليين .

6 ـ يجب تمثيل الأهالي في المجلس الوطني الفرنسي ، أو في مجلس (خاص) يخلق في باريس حيث يمثل الأهالي نواب ينتخبونهم بأنفسهم .

7 ـ يجب أن يكون لأولئك الأهالي الذين يقبلون الخدمة العسكرية اجبارياً ، أو بطريقة التجنيد ، أو التطوع ، الحق في اختيار الجنسية الفرنسية ، بناء على طلب بسيط ، دون اللجوء الى الطرق الحاضرة (المعقدة) .

3 ـ اصلاح الضرائب :

ان (الجزائريين يطالبون) بتعديل النظام المالي تعديلاً مبنياً على مبدأ المساواة في تعويض الأثمان .

4 ـ توزيع الموارد المالية :

ان المجموعة الفرنسية (الكولون) التي تتمتع وحدها في الوقت الحاضر بتمثيل نيابي جاد وفعال في المجالس المحلية في الجزائر وفي المجلس الوطني الفرنسي في فرنسا ، هي الوحيدة التي تستطيع أن تتصرف في الميزانية . وهكذا فإن معظم الموارد المالية تصرف بطريقة تكاد تكون تامة على مصالح العناصر الأوروبية (الكولون) . ان أعظم حاجات الأهالي الحاحاً لم يظفر بأية ترضية تقريباً ، بل ان نفقات كبيرة قد خصصت لكثير من البلديات ، بينما بقيت أعمال في الدرجة الأولى من الأهمية بالنسبة للأهالي المسلمين تعاني (الاهمال) .

ان هذه الحالة بصفة خاصة ، غير عادية ، وذلك لأن الميزانية العامة ، بالإضافة الى الميزانية البلدية والعمالية ، تمول في أغلب الأحيان من ضرائب يدفعها الأهالي . وان إحداث نظام تمثيلي جاد للأهالي هو الذي سيسمح بخلق توازن في التعويضات من الموارد المالية .

هذه هي الرغبات التي صاغها أعضاء الوفد الأهلي الممضين أسفله ، الذين تملأهم الثقة في روح عدل وكرم وحكومة الجمهورية . وأن في تحقيق هذه الرغبات عظمة وخير كل من فرنسا والجزائر[1] .

باريس ـ جوان 1912

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930م)، المرجع السابق، ص ص: 426–430.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا- المصادر:

- باللغة العربية:

1- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر. وتقد. وتعليق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م.

2- بن حبيلس شريف، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي وآخرون، د.ط، دار المسك للنشر، الجزائر، 2012م.

3- الحفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، د.ط، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ-1906م.

4- الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977م.

5- عباس فرحات، الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة الشاب الجزائري 1930م متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان أفريل 1941م، تر: أحمد منور، د.ط، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

6- بن العقون عبد الرحمن بن ابراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920-1936م)، ج 1، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

7- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1956م.

8- مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج (1898-1938م)، تر: محمد المعراجي، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2006م.

9- بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، ط 2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، سوريا، 1404هـ-1984م.

- باللغة الأجنبية:

أ- الجرائد:

1- GGA, Journal Officiel de la République Française, Débats Parlementaires Sénat, Compte Rendu Intégral des Séances, 1re Session Ordinaire de 1959-1960, Séance du Mardi 6 Octobre 1959, No. 31 s, Paris, Mercredi 7 Octobre 1959.

2- GGA, L'Union Républicaine, "Organe Hebdomadaire des Intérêts de la Région de Sétifiens", Numéro:

- No. 1716, 31e Année, Alger, Jeudi 7 Janvier 1932.

- No. 2077, 37e Année, Alger, Jeudi 17 Novembre 1938.

3- L'Afrique du Nord Illustrée,"Journal Hebdomadaire «Algérie - Tunisie - Maroc»", No. 236, 8e Année, Alger, 21 Juin 1913.

4- La Bréche, "Chérif Benhabylés Chevalier de La Légion D'Honneur", Numéro:

- No. 141, 3e Année, Alger, Samedi 29 Octobre 1927.

- No. 312, 8e Année, Alger, Samedi 9 Janvier 1932.

- No. 313, 8e Année, Alger, Samedi 23 Janvier 1932.

- No. 250, 11e Année, Alger, Mercredi 18 Octobre 1930.

5- L'Écho D'Alger, "Marseille Prépare la Reprise et L'Intensification du Commerce D'Avant-Guerre Entre Algérie et Métropole", No. 11263, 30e Année, Alger, Dimanche 8 Juin 1941.

6- Le Mobacher, "Journal Officiel Paraissant Deux Fois par Semaine", Numéro:

- No. 6156, 71e Année, Alger, Samedi 25 Janvier 1919.

- No. 4150, 51e Année, Alger, Samedi 4 Novembre 1899.

- No. 5694, 66e Année, Alger, Samedi 22 Août 1914.

- No. 6176, 71e Année, Alger, Samedi 5 Avril 1919.

7- L'Ikdam (Le Rachidi), "Organe Républicain D'Union Franco-Musulmane Paraissant à Alger Le Vendredi", No. 7, 7e Année (3e série), Alger, Vendredi 22 Octobre 1920.

8- L'Impartial, "Hebdomadaire Fondé en 1890 par Jules Angeli «Le Réveil Djidjellien»", No. 51, 63e Année, Alger, Dimanche 3 Octobre 1954.

9- L'Impartial, "Le conseil Municipal de Djidjelli a Élumaire M. Jules Lochard à L'Unanimité Honneur à Lui", No. 2086, 42e Année, Alger, Dimanche 10 Janvier 1932.

10- L'Impartial, "Organe Républicain des Intérêts de Djidjelli et de la Région", Numéro:

- No. 790, 16e Année, Alger, Dimanche 12 Novembre 1905.

- No. 1149, 23e Année, Alger, Dimanche 20 Octobre 1912.

11- La Voix des Humbles Mmes, "Pour L'Évolution des Indigénes par la Culture Française", No. 162, 14e Année, Paris, Novembre 1935.

12- La Voix Indigéne, "Journal D'Union Franco-Musulmane", No. 497, 12e Année, Alger, Jeudi 8 Février 1940.

ب- الكتب:

1- Augustin Bernard, L'Organisation Communale des Indigénes de L'Algérie, Emile Larose Libraire - Éditeur, Paris, Août et Septembre 1918.

2- Dominique L.-C, Un Gouverneur Général de L'Algérie L'Amiral De Gueydon, Mémoires de la Société Historique Algérienne, No. 11, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1908.

3- Guérard Albert Léon, Frenche Civilization in the Nineteenth Century A Historical Introduction, The Century Co, New York, 1914.

4- Hugo Victor, Choses vues "Souvenirs, Journaux, Cahiers" (1870-1885), Édition Établie Présentée et Annotée par Hubert Juin, Édition Gallimard, Paris, 1972.

5- Jacquemoudle, Choléra Préservation -Traitement- Causes Choléra Des Alpes, Imprimerie de Charles Ducreyéditeur, Paris, 1876.

6- Klein Félix, Le Cardinal Lavigerie et ses œuvres D'Afrique, Nouvelle Édition Complètement Refondue, Alfred Mame et Fils, Tours, 1897.

7- Larcher Emile et Rectenwald Géorges, Traité Lémentaire Élémentaires de Législation Algérienne, L'Algérie Organisation Politique et Administrative, T. 1, 3éme Édition, Librairie Arthur Rousseau, Paris, 1923.

8- Lavigerie Charles (1825-1892), Notice sur la Société des Missionnaires D'Afrique dits Péres Blancs, Maison Carrée, Alger, S.D.

9- Lorin Henri, L'Afrique du Nord, Tunise - Algerie - Maroc, Librairie Armand Colin, Paris, 1908.

10- Lutsky. V, Modern History of the Arab Countries, Progress Publishers, Moscow, 1969.

11- Reclus Maurice, Jules Ferry (1832-1893), Flammarion, Paris, 1947.

12- Sisbane Chérif, Note sur les Réformes Désirées par la Fédération des Élus des Indigénes du Département de Constantine, Alger, 1931.

13- Vignon Louis, La France en Algérie, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1893.

ثانيًا- المراجع:

- باللغة العربية:

1- أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات، لبنان – فرنسا، 1982م.

2- ـــــــــــ، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919م)، ج 1، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.

3- ـــــــــــ، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919م)، ج 2، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.

4- إسماعيل أحمد سميح حسن، الاستيطان اليهودي في الجزائر (1919-1962م)، ط 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م.

6- ـــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م.

7- ـــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م.

8- ـــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج 7، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998م.

9- ـــــــــــ، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م.

10- بختي العربي، تاريخ النظم القانونية القديمة والإسلامية والجزائرية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م.

11- براكة ميلود، الاتجاهات الاستقلالية في الحركات الوطنية المغاربية (الجزائر والمغرب الأقصى) دراسة تاريخية مقارنة، د.ط، دار القدس العربي، الجزائر، 2019م.

12- برج محمد عبد الرحمن، مُحبّ الدّين الخطيب ودوره في الحركة العربية (1906-1920م)، أعلام العرب، ع 139، د.ط، الهيئة المصرية الهامة للكتاب، مصر، 1990م.

13- برفيليي غي، النُخبة الجزائرية الفرانكفونية (1880-1962م)، تر: حاج مسعود وآخرون، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

14- بريون فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، د.ط، دار الفكر، سوريا، 2010م.

15- بسكر محمد، الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه، مج 2، د.ط، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

16- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م)، د.ط، منشورات دار دحلب، الجزائر، 2007م.

17- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج 1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2007م.

18- بليل محمد، "دور التشريعات في التهجير القسري للجزائريين داخليًا وخارجيًا وانعكاساتها عليهم من خلال قانوني الأرض والتجنيد الإجباري (1863-1919م)"، أعمال الملتقى الوطني حول النفي والإبعاد في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962م)، ط 1، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، 2021م.

19- ـــــــــــ، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين (1881-1914م)، د.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م.

20- ـــــــــــ، "التشريع الكولونيالي الخاص بإدارة القبائل الجزائرية بالإقليم الوهراني وجنوبه (1830-1873م)"، أعمال الملتقى الوطني حول القطاع الوهراني وإقليمه الجنوبي دراسة في

فضاء القبائل والإدارة العسكرية خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1830-1873م)، د.ط، دار كوكب العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2023م.

21- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م.

22- بوعزة بوضرياسة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930م) وانعكاساتها على المغرب العربي، د.ط، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م.

23- بوعزيز يحي، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

24- ـــــــــــ، الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1986م.

25- ـــــــــــ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

26- ـــــــــــ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، د.ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

27- بوهند خالد، النُخب الجزائرية دراسات تاريخية واجتماعية (1892-1942م)، د.ط، المركز العربي للأبحاث والدراسات التاريخية والسياسية، قطر، 2020م.

28- تابليت علي، فرحات عبّاس رجل دولة، ط 2، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

29- جرانت أ.ج.، وتمبرلي هارولد، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950م)، تر: بهاء فهمي، مر: أحمد عزت عبدالكريم، ط 6، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1967م.

30- جلامة عبد الوحيد، "قراءة في قانون الحالة المدنية 23 مارس 1882م"، أعمال الملتقى الوطني حول الألقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والآثار (1873-1962م)، المنعقد

يومي 29 و30 أكتوبر 2019م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، مارس 2022م.

31- جمال ورتي، "قانون الحالة المدنية 23 مارس 1882م محصلة تفكيك ممنهج لبنى المجتمع الجزائري"، أعمال الملتقى الوطني حول الألقاب العائلية في الجزائر بين النص والتطبيق والآثار (1873-1962م)، المنعقد يومي 29 و30 أكتوبر 2019م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، مارس 2022م.

32- الجيلالي عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 5، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

33- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

34- حميطوش يوسف، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

35- الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج 1، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

36- خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسفي، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م.

37- ـــــــــــ، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، د.ط، منشورات ANEP، الجزائر، 2013م.

38- بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962م)، ج 1، ط 1، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

39- دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1340هـ-1921م) إلى عام (1395هـ-1975م)، ج 3، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

40- دردور سمير نور الدين، ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، د.ط، مؤسسة هنداوي سي آي سي، مصر، 2019م.

41- دسوقي ناهد إبراهيم، دراسات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، د.ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011م.

42- الدقر عبد الغني، الإمام سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، أعلام المسلمين، مج 52، ط 1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1415هـ-1994م.

43- دياكوف نيكولاي، حركة الفتيان الجزائريين في مطلع القرن العشرين، تر: عبد العزيز بوباكير، مر: مصطفى ماضي، تق: أحسن بشاني، د.ط، منشورات آمدوكال، الجزائر، 2015م.

44- الديب فتحي، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط 1، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، مصر، 1984م.

45- زروق نادية، سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر (1870-1900م)، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

46- زرّوقة عبد الرشيد، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940م)، ط 1، دار الشهاب، لبنان، 1420هـ-1999م.

47- زكرياء مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتح: أحمد حمدي، د.ط، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003م.

48- زكي أحمد صلاح، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1، مركز الحضارة العربية، مصر، 2001م.

49- الزليطني محمد لطفي، جورج مارسيه (Georges Marçais)، ط 1، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2021م.

50- زوزو عبد الحميد، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، ج 1، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

51- سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي الشيخ المهدي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج 4، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

52- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

53- ـــــــــــ، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

54- شنوف عيسى، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2008م.

55- شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، د.ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

56- بن الشيخ حكيم، الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1912-1936م)، د.ط، دار العلم والمعرفة، الجزائر، 2013م.

57- صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، المطبعة العربية، الجزائر، 2004م.

58- صاري جيلالي، تجريد الفلاحين من أراضيهم (1830-1962م)، تر: قندوز عباد فوزية، د.ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2010م.

59- الصلابي علي محمد محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، د.ط، دار المعرفة، لبنان، 2015م.

60- الطالبي عمّار، آثار ابن باديس، مج 1، ط 1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1388هـ-1968م.

61- الطمّار محمّد بن عمرو، تاريخ الأدب الجزائري، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م.

62- عبد الرحمن عواطف، الصّحافة العربيّة في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962م)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

63- العسلي بسام، محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، ط 1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1402هـ-1982م.

64- العقاد صلاح، الجزائر المعاصرة محاضرات ألقاها الدكتور صلاح العقاد على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية وملحق بها الترجمة العربية لاتفاقيات إيفيان، د.ط، جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية، مصر، 1964م.

65- عمري الطاهر، النُخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، د.ط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009م.

66- عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916م)، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

67- العنتيل فوزي، الفولكلور ماهو؟ دراسات في التراث الشعبي، د.ط، دار المعارف، مصر، 1965م.

68- عويمر مولود، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، ج 2، د.ط، منشورات دار قرطبة، الجزائر، 2011م.

69- غليون برهان، في النُخبة والشعب، ط 1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010م.

70- فاضلي إدريس، المدخل إلى تاريخ النظم، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م.

71- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، د.ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

72- ـــــــــــ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)، د.ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002-2003م.

73- ـــــــــــ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925م)، د.ط، جامعة قالمة، الجزائر، 2010م.

74- قداش محفوظ وصاري جيلالي، الجزائر صمود ومقاومات (1830-1962م)، تر: أوذاينية خليل، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م.

75- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939م)، تر: أمحمد بن البار، ج 1، د.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

76- قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار دراسات في التاريخ المعاصر، مج 6، د.ط، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009م.

77- ـــــــــــ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د.ط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م.

78- لونيسي إبراهيم، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

79- لونيسي رابح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج 1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

80- لونيسي رابح، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط 2، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012م.

81- محياوي رحيم، دراسة مستقبلية الاستيطان والتوطين: الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، د.ط، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006م.

82- مدور محمود أيت، الحركة العمالية في الجزائر إبَّان الحقبة الاستعمارية (1830-1962م) بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

83- مريوش أحمد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج 1، د.ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

84- معوشي أمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-1870م)، د.ط، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

85- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2014م.

86- ـــــــــــ، بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، د.ط، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2018م.

87- ـــــــــــ، في جذور الثورة الجزائرية مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى فاتح نوفمبر 1954م، د.ط، شمس الزيبان، الجزائر، 2013م.

88- مناصرية يوسف، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919-1939م)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

89- ـــــــــــ، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنيّة الجزائريّة (1830-1962م)، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

90- مهديد إبراهيم، القطاع الوهراني ما بين 1850 و1919م دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، د.ط، منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006م.

91- مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962م)، ط 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

92- نوار عبد العزيز سليمان ونعنعي عبد المجيد، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د.ط، دار النهضة العربية، لبنان، 1435هـ-2014م.

93- النُوضة رحمان، نقد النُخب (إنتاجها، أنواعها، انتهازيتها، وتقويمها)، د.ط، رحمان النوضة، المغرب، أكتوبر 2015م.

94- هشماوي مصطفى، جذور نوفمبر 1954م في الجزائر دراسة، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م.

95- الهواري عدي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي (1830-1960م)، تر: جوزيف عبد الله، ط 1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983م.

96- وطفة علي أسعد، في مفهوم النُخبة: مقاربة بنائية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الإصدرات الخاصة، الكويت، الإصدار الأول ماي 2015م.

97- ولد الحسين محمد الشريف، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830-1962م)، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010م.

- باللغة الأجنبية:

1- Ageron Charles Robert, Histoire de L'Algérie (Contemporaine de L'Insurrection de 1871 au Déclenchement de la Guerre de Libération 1954), T. 2, Presses Universitaire de France, Paris, 1979.

2- Ageron Charles Robert, Genése de L'Algérie Algérienne, Édif 2000, Alger, 2010.

3- Brace Richard and Joan, Ordeal in Algeria, D. Van Nostrand Company, USA, 1960.

4- Persil Raoul, Alexendre Milerand (1859-1943), Édition Sefi, Paris, 1949.

5- Roberts Andrew, Napoleon the Great, Penguin Books, London, 2014.

6- Stora Benjamin, Messali Hadj Pionnier du Nationalisme Algérien (1898-1974), Éditions L'Harmattan, Paris, 1986.

7- Ulrich-Girollet Anne, Victor Schælcher Républicain et Franc-Maçon, 2e éd, Édition Maçonniques de France, Paris, 2019.

8- Weil Patrick, Le Statut des Musulmans en Algérie Coloniale une Nationalité Français Dénaturée, EUI Working Paper HEC, No. 3, European University Institute, Département of History and Civilization, Florence, 2003.

ثالثًا- المعاجم والقواميس:

- باللغة العربية:

1- شرفي عاشور، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962م)، تر: عالم مختار، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

2- الفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، ج 1-2، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ-2003م.

3- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1400هـ-1980م.

- باللغة الأجنبية:

1- Cherfi Achour, Dictionnaire Biographique La Révolution Algérienne (1954-1962), Casbah Édition, Alger, 2004.

2- Remaoun Hassan, Dictionnaire du Passé de L'Algérie De La Préhistoire à 1962, Édition Dgrst / Crasc, Alger, 2015.

رابعًا- المجلات والدوريات:

- باللغة العربية:

1- أيت حبوش حميد، "قانون التجنيد الإجباري 1912م دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه"، **مجلة الحوار المتوسطي**، مج 9، ع 2، جامعة وهران 1، الجزائر، سبتمبر 2018م.

2- بودريعة ياسين، "آغا العرب بالجزائر المنصب السامي والطموح السياسي خلال مرحلة الدايات (1671-1830م)"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج 7، ع 1، جامعة البويرة، الجزائر، 2023م.

3- بوشامة بديس، "النُخبة والديمقراطية.. قراءة في المفاهيم والأبعاد"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 10، ع 1، جامعة أم البواقي، الجزائر، جوان 2023م.

4- بوشنافي محمد، "آثار السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري"، **مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا**، مج 2،ع 3، جامعة الجيلالي اليابس- سيدي بلعباس، الجزائر، أفريل 2007م.

5- بوعبد الله عبد الحفيظ، "الطرح الاندماجي في الجزائر: الجذور والتطور"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 1، ع 2، جامعة سطيف 2، الجزائر، جوان 2013م.

6- بوكسيبة محمد، "الرحالة إلى زاوية الهامل في عهد لالة زينب (1897-1904م)"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 4، ع 2، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2020م.

7- بوهند خالد، "مقاربة حول القيادة السياسية والفعل الجماعي بين فرحات عباس وأحمد فرنسيس (1943-1956م)"، **مجلة المرآة للدراسات المغاربية**، مج 3، ع 6، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2017م.

8- تيتة ليلة، "تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 6، ع 17، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ديسمبر 2014م.

9- الجمالي عبد العزيز علي، "التعايش السلمي"، **مجلة الجامعة الوطنية**، مج 3، ع 15، الجمهورية اليمنية – صنعاء، ديسمبر 2020م.

10- حباطي عايدة، "جذور العمل النقابي في الصحافة الاندماجية جريدة صوت المستضعفين أنموذجًا"، **مجلة المعيار**، مج 27، ع 2، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر، 2023م.

11- حدادي وليدة، "النُخبة المثقفة وإشكالية المفهوم"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 2، ع 5، جامعة سطيف 2، الجزائر، شوال 1439هـ - جوان 2018م.

12- بن حسين كريمة، "المتجنسون: مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج أ، ع 30، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2008م.

13- دويدة نفيسة، "مقالات متنوعة الشريف بن حبيلس: آراؤه واهتماماته الفكرية"، **إنسانيات**، مج 20، ع 72-73، الجزائر، أفريل – سبتمبر 2016م.

14- رزايقية عبد اللطيف، "القرار الإداري محل الخصومة الإدارية كشرط لقبول دعوى الإلغاء"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 6، ع 2، جامعة أم البواقي، الجزائر، ديسمبر 2019م.

15- رميتة عبد الغني، "الوضع الصحي وآثاره في الجزائر والجنوب الغربي من بداية الاحتلال الفرنسي حتى مطلع القرن 20"، **مجلة دراسات تاريخية**، مج 11، ع 1، المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة، الجزائر، 1445هـ-2023م.

16- زغوني رابح، "دور البرجوازية العربية في ترسيخ نمط الاقتصاد السياسي المتمركز على الدولة في العالم العربي"، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مج 14، ع 2، جامعة قالمة، الجزائر، سبتمبر 2020م.

17- سبيحي عائشة، "الحاكم العام جول كامبون وسياسة فرنسا الإسلامية في الجزائر (1891-1897م)"، **مجلة المفكر**، مج 8 ،ع 1، المركز الجامعي مرسلي عبد الله- تيبازة، الجزائر، 1435هـ - جوان 2024م.

18- سحولي بشير، "مسألة التجنس من منظور النُخبة الجزائرية المُفرنسة (1900-1939م)"، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، مج 18، ع 1، جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس، الجزائر، أوت 2022م.

19- سعودي أحمد، "النُخبة الاندماجية في الجزائر ومسألة التجنيد الإجباري (1912-1918م)، وهم الفرنسة، وفشل التحديث"، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 2، ع 4، جامعة عمار ثليجي- الأغواط، الجزائر، رجب 1439هـ - مارس 2018م.

20- شرفة فريدة، "دور بوعزيز بن قانة في دعم الاحتلال الفرنسي في إقليم الزيبان من خلال المكتب العربي (1844-1864م)"، **مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 8، ع 2، جامعة باتنة 1، الجزائر، ديسمبر 2023م.

21- شويتام أرزقي، "سياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر (1830-1914م)"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مج 2، ع 2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ديسمبر 2020م.

22- صافر فتيحة، "مواقف النُخبة الجزائرية من سياسة فرنسية الاندماجية"، **عصور الجديدة**، مج 5، ع 16-17، جامعة وهران، الجزائر، 1436هـ/2014-2015م.

23- صفصاف هواري وصافر فتيحة، "الدكتور محمد الصالح بن جلول ونضاله السياسي داخل النُخبة الاندماجية مابين (1930-1956م)"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج 13، ع 2، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2021م.

24- علاق أمينة، "نُخبة أم نُخب: قراءة في المفهوم، الأدوار والإشكاليات"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 9، ع 28، جامعة قسنطينة 3، الجزائر، مارس 2017م.

25- عواريب لخضر، "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر (1927-1955م)"، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 8، ع 24، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، الجزائر، جوان 2016م.

26- فايد بشير، "فرحات عباس وملامح الدولة الوطنية المنشودة"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، مج 3، ع 2، جامعة سطيف 2، الجزائر، ديسمبر 2019م.

27- فرقاني قويدر نور الإسلام، "التجنس الخاص في التشريع الجزائري والتشريعات المقارنة"، **مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية**، مج 4، ع 2، المركز الجامعي مرسلي عبد الله بـ تيبازة، الجزائر، 2020م.

28- قاصري محمد السعيد، "النُخبة الجزائرية الفرانكفونية بين التطرف والاعتدال شريف بن حبيلس أنموذجًا (1891-1959م)"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، مج 7، ع 13، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2017م.

29- لهلالي سلوى، "ظهور النُخبة الجزائرية ومرجعياتها"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 1، ع 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، جانفي 2013م.

30- لهلالي سلوى، "من أعلام الثقافة بمنطقة تيارت محمد صوالح (1872-1953م)"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا**، مج 5، ع 2، جامعة سطيف 2، الجزائر، أفريل 2022م.

31- لوصيف فوزية، "الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد"، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، مج 28، ع 1، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر، 2014م.

32- مهيدي مصطفى وعشي نصيرة، "تَمَظهُرات المَركز الإيديولوجيّ وهامشيَّةُ اللُّغة الجماليّة في القصّة القصيرة الجزائريّة قبل 1990م (نماذج مختارة)"، **مجلة النص**، مج 11، ع 2، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، الجزائر، 2024م.

33- موسم عبد الحفيظ، "الإمداد عبر تونس خلال الثورة الجزائرية (1954-1962م)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 3، ع 5، جامعة تلمسان، الجزائر، 2015م.

34- مولاي هاشمي، "المرسوم كآلية للتشريع في المنظومة القانونية الجزائرية"، **مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية**، مج 3، ع 6، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، جوان 2014م.

35- هجالة خيرة المهدي، "سياسة الفرنسة في الجزائر (1830-1962م)"، **مجلة الإحياء**، مج 21، ع 29، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة علي لونيسي- البليدة، الجزائر، أكتوبر 2021م.

36- الوناس الحواس، "الأوضاع الاجتماعية للجزائر بين سنوات (1830-1930م)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 1، ع 1، جامعة البويرة، الجزائر، جانفي 2013م.

- باللغة الأجنبية:

1- Nouschi André, "Enquête sur le Niveau de vie des Populations Rurales Constantinoises de la Conquête Jusqu'en 1919", **Population**, Vol. 18, No. 1, Éditions de L'I.N.E.D, Paris, Janvier - Mars 1963.

2- Ruedy John, "Chérif Benhabylès and Ferhat Abbas: Case Studies in the Contradictions of the Mission Civilisatrice", **Historical Reflections / Réflexions Historiques**, Vol. 28, No. 2, New York, Summer 2002.

خامسًا- الرسائل الجامعية والأطروحات الأكاديمية:

- باللغة العربية:

1- بوزيدي وحيد، المجندون المسلمون الجزائريون في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي وعلاقتهم بالثورة الجزائرية (1954-1962م) - دراسة من خلال وثائق أرشيف ما وراء البحار -، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ الثورة الجزائرية (1954-1962م)، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف، 2020-2021م.

2- عثماني رمضان، الأسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1919-1954م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د، تخصص تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2019-2020م.

3- علامة صليحة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962م" عمالة الجزائر نموذجا" - دراسة تاريخية -، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2016-2017م.

4- قندوز عبد القادر، الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي (1830-1914م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، 2016-2017م.

5- نويجي سناء، دور المثقفين الجزائريين في الثورة التحريرية (1954-1962م) "أحمد طالب الإبراهيمي - محمد حربي" أنموذجًا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث L.M.D في التاريخ، تخصص تاريخ معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، 2018-2019م.

6- مطبقاني مازن صلاح حامد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1349-1358هـ/1931-1939م)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآداب، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1405هـ-1985م.

7- معزة عز الدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899-1985م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، 2004-2005م.

8- بن تركي مروان وبوقندورة فيصل، دراسة كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي للشريف بن حبيلس، مذكرة مقدمة للحصول على شهادة ماستر، تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة يحي فارس بالمدية، 2021-2022م.

9- قاسمي رزيقة وبورغيدة حسناء، النُخبة الفرنكفونية "الشريف بن حبيلس" أنموذجًا (1885-1959م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة، 2022-2023م.

10- منصور البشير، النُخبة الجزائرية الفرانكوفونية "الشريف بن حبليس أنموذجًا (1891-1959م)"، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، 2017-2018م.

- باللغة الأجنبية:

1- Marchika Jean, La Peste en Afrique Septententrionale "Histoire de la Peste en Algérie de 1363 à 1830", Thése pour le Doctorat en Médecine, Jules Carboned, Alger, 1927.

سادسًا- المواقع الالكترونية:

1- Https: //www.senat.fr/senateur/benhabyles_cherif

اطلعنا عليه بتاريخ 15 ماي 2025 على الساعة 17:10.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
البسملة	
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: أوضاع الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي ما بين (1870-1920م)	
المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية	22
المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية	36
المبحث الثالث: الأوضاع الدينية والثقافية	47
الفصل الأول: النُخبة الجزائرية المُفرنسة مرجعيتها ومواقفها	
المبحث الأول: تعريف النُخبة الجزائرية المفرنسة وتوجهاتها	59
المبحث الثاني: أسس النُخبة الجزائرية المفرنسة	69
المبحث الثالث: موقفها من القضايا الوطنية	74
المبحث الرابع: موقف فرنسا من النُخبة المُفرنسة	78
الفصل الثاني: "شريف بن حبيلس: سيرته وأثره بين 1891 و1959م"	
المبحث الأول: أصل وتاريخ عائلة شريف بن حبيلس	83
المبحث الثاني: مولد شريف بن حبيلس ونشأته	85
المبحث الثالث: مساره العلمي والمهني	87
المبحث الرابع: تطور مواقف بن حبيلس الفكرية والسياسية	94
المبحث الخامس: آثاره ووفاته	100

الفصل الثالث: دراسة كتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"	
المبحث الأول: الدراسة الظاهرية	109
المبحث الثاني: الدراسة الباطنية	109
المبحث الثالث: القيمة السياسية للكتاب	120
الخاتمة	129
الملاحق	134
قائمة المصادر والمراجع	144
فهرس المحتويات	166
ملخص الدراسة	169

ملخص الدراسة

الملخص:

تتناول هذه الدراسة جانبًا من النشاط الفكري للنُخبة الجزائرية المُفرنسة خلال الفترة الممتدة بين 1891 و1959م، من خلال التركيز على شخصية شريف بن حبيلس باعتباره نموذجًا معبّرًا عن هذه الفئة. فقد تشكلت هذه النُخبة في ظل منظومة التعليم والثقافة الفرنسية، ما جعل أفرادها يعيشون حالة من التناقض بين التمسك بالهوية الوطنية من جهة، والرغبة في الاندماج داخل النظام الاستعماري من جهة أخرى.

ويظهر هذا التردد بوضوح في مؤلف شريف بن حبيلس المعروف بـ "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، حيث عبّر فيه عن الرغبة في تحسين أوضاع الجزائريين، لكن من داخل المنظومة الفرنسية، دون أن يتبنى خطابًا ثوريًا أو معارضًا بشكل مباشر، وهذا يعكس موقفًا شائعًا لدى العديد من أفراد النُخبة المُفرنسة، الذين فضلوا أسلوب الإصلاح التدريجي بدلًا من المواجهة.

ومن خلال تحليل هذه التجربة، يمكن فهم مواقف هذه النُخبة في سياقها التاريخي والاجتماعي، بعيدًا عن إصدار أحكام مسبقة، وهو ما يساعد على قراءة التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية.

وفي الأخير، فإنَّ استيعاب تناقضات هذه المرحلة لا يهدف فقط إلى معرفة الماضي، بل يساعدنا أيضًا على التفكير في الحاضر، وبناء نُخبة جديدة تحمل وعيًا وطنيًا حقيقيًا، دون أن تقع في فخ التبعية أو الانعزال.

الكلمات المفتاحية:

النُخبة الجزائرية المُفرنسة، شريف بن حبيلس، النشاط الفكري، الاستعمار الفرنسي، الهوية الوطنية، الاندماج الثقافي، التناقض الثقافي، الإصلاح التدريجي، النقد الإصلاحي، "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"، السياق التاريخي والاجتماعي، التحولات الفكرية، بناء الوعي الوطني، إعادة القراءة التاريخية، التحولات الاستعمارية.

Summary:

This study explores an aspect of the intellectual activity of the French-educated Algerian elite during the period from 1891 to 1959, focusing on the figure of Cherif Ben Hbelès as a representative example of this group. This elite emerged within the framework of the French education and cultural system, which led its members to experience a state of contradiction between clinging to national identity on the one hand, and the desire to integrate into the colonial system on the other.

This hesitation is clearly reflected in Chérif Benhabylès work, French Algeria as Seen by a Native, in which he expressed a desire to improve the conditions of Algerians, but from within the French system, without adopting a revolutionary or openly oppositional discourse. This reflects a common position among many members of the French-educated elite, who preferred a gradual reform approach rather than direct confrontation.

By analyzing this experience, it becomes possible to understand the positions of this elite within their historical and social context, avoiding any premature judgment. This helps in reading the transformations that Algerian society underwent during the colonial period.

In the end, understanding the contradictions of this phase does not aim solely at knowing the past, but also helps us reflect on the present and build a new elite with genuine national awareness, without falling into the trap of dependency or isolation.

Keywords:

Franco-Algerian Elite, Chérif Benhabylès, Intellectual Activity, French Colonialism, National Identity, Cultural Integration, Cultural Contradiction, Gradual Reform, Reformist Criticism, "French Algeria as Seen by a Native", Historical and Social Context, Intellectual Transformations, Building National Awareness, Historical Re-Reading, Colonial Transformations.